ابراهيم النعمة

من روائع القصص
في تضحيات الصحابة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥-٢٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمدك اللهم ونستهديك، ونستعين بك ونتوكل عليك، ونصلي ونسلم صلاة طيبة زاكية مباركة على من ختمتَ به الشرائع وأرسلتَه رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الذين اصطفيتهم من خلقك، وائتمنتهم على تبليغ شرعك الشريف إلى الناس كافة، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ إنك لا تخلف الميعاد!.

أما بعد:

فقد أكرم الله ﷻ أمتنا بخاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، واختار له أصحاباً يجاهدون معه وينشرون دينه في حياته وبعد مماته. واستطاع الصحب الكرام أن يحققوا من الخير للبشرية ما لم يستطع أن يحققه غيرهم على مدى التاريخ كلّه؛ ذلك لأنّ عوامل الخير التي جعلها الله فيهم لم تجتمع في جيل قبلهم ولا في جيل بعدهم؛ فقد أخلصوا لله ورسوله في أقوالهم وأفعالهم، وبذلوا أرواحهم وأولادهم وكل حبيب إلى قلوبهم، رخيصة في سبيل الله: فهاجر من هاجر منهم إلى الحبشة من أجل الثبات على دينهم خشية أن يفتنهم الذين كفروا، ثم هاجروا مرة أخرى إلى المدينة استجابة لرسول الله ﷺ، راضية بذلك قلوبهم، مطمئنة بالهجرة أفئدتهم، تاركين المال والأهل والأحباب. روى سعيد بن المسيب هجرة صهيب الرومي فقال:

(أقبل صهيب مهاجراً نحو رسول الله ﷺ، فاتبعه نفر من قريش من المشركين، فنزل عن راحلته، ونثر ما في كنانته، وأخذ قوسه ثم قال: يا معشر قريش، لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وايم الله لا تصلون إليّ حتى أرميَ بما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا

ما شئتم. قالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك، وعاهدوه إن دلهم أن يَدَعوه، ففعل. فلما قدم على النبيﷺ قال: [أبا يحيى ربح البيع، ربح البيع] وأنزل الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾»(1).

هذا ما يتعلق بالمهاجرين، وأمّا الأنصار، فما أن أقدم المهاجرون إلى المدينة حتى أقدموا على إيوائهم، وعرّضوا مدينتهم للخطر، وتمثل كرمهم لإخوانهم المهاجرين في أكرم صورة من الصور؛ فأثنى الله تعالى عليهم ذلك الثناء العاطر في عدد من المواضع في القرآن الكريم، ومنها ما قاله ﷻ فيهم:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الحشر.

وقد جاءت الآيتان الكريمتان في وصف المهاجرين والأنصار من صحابة رسول الله ﷺ، واصفة تجردهم لنصرة دين الله: فقد تركوا الوطن وهو حبيب إلى قلوبهم، وتركوا المال وهو عزيز على نفوسهم..ترك المهاجرون ذلك لما أمرهم النبيﷺ بالهجرة إلى المدينة، فسارعوا إليها غير ملتفتين إلى شيء من ذلك، وقد وصفت الآية الأولى المهاجرين بالإيمان الصادق، ووصفت الآية الثانية الأنصار بالفلاح، فهم قد انخلعوا عن البخل والشح، ومدّوا أيديهم بالكرم والجود، والسخاء والعطاء، والبذل والندى، ونصروا الله ورسوله، مؤثرين الإيمان بالله واليوم الآخر على المال والأهل والولد.!

ولقد عاش الصحابة في فقر مدقع، وحاجة كاوية من أجل ثباتهم على الدين، ونشر الإسلام في

---

(1) الجامع في أسباب النزول، جمعه ورتبه وحققه: حسن عبد المنعم شلبي، ص٨٣-٨٤، الطبعة الأولى ١٤٣٢-٢٠١١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

بقاع الدنيا.. تحملوا ذلك صابرين محتسبين، ثابتين ثبات الشمّ الراسيات من أجل ذلك، معرضين عن المغريات التي عرضت عليهم. ويحكي لنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه شيئاً من الشدة في العيش التي كانوا عليها فيقول:

(رأيتني سابع سبعة مع النبي ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحُبلة أو الحَبَلة، حتى يضع أحدنا ما تضع الشاة)[1].

وهذا الورق الذي كان يأكله سعد مع ستة من الصحابة: ورق صحراوي له شوك فتخرج فضلات الطعام منهم جافة كما تضع الشاة البعر.

وشظف العيش الذي أصاب المسلمين، وتواتر ذكره لدى كتاب السيرة والمؤرخين، ينبغي أن نقف عنده؛ لنعلم ضريبة الثبات على عقيدة التوحيد كيف تكون. هذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول:

(كنا قوماً يصيبنا ظلف العيش وشدته بمكة مع رسول الله ﷺ، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك، ومرنا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة، خرجت من الليل أبول وإذا أنا أسمع بقعقعة شيءٍ تحت بولي فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها، فوضعتها بين حجرين، ثم استففتها وشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثا)[2].

ولا يظنن أحد أن هذا الفقر وتلك الشدة أصابت المسلمين في العهد المكي وحده، بل أصابت المسلمين حتى في العهد المدني في غزوات النبي ﷺ وسراياه: ففي غزوة سيف البحر وتسمى غزوة الخبط، تحمَّل الصحابة من الجوع ما لم يتحمله غيرهم: فقد أرسل النبي ﷺ سرية من المهاجرين والأنصار بلغ عددهم أكثر من ثلاثمائة صحابي ليرصدوا عيراً لقريش، ويؤدبوا أحياءً من قبيلة جهينة، وكانت بقيادة أمين هذه الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح، ولم يكن معهم سوى جراب

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة (باب: ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون)، رقم ٥٤١٢، ص١٣٨٥.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٩٣.

واحد من التمر، فكان زاد الواحد منهم حفنة من التمر، ولما أشرف التمر على الانتهاء صار نصيب الواحد تمرة واحدة، فلما لم يبق من التمر شيء صاروا يتصيدون ورق الشجر بقسيهم فيسحقونه ويشربون عليه الماء. ولنترك الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يروي لنا ما كان في هذه الغزوة من ضيق شديد عليهم فقال:

(بَعَثَ رسول الله ﷺ بَعْثًا قِبَلَ السَّاحِلِ فَأَمَّرَ عليهم أَبَا عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ وَهُمْ ثلاثمائة، وأنا فِيهِمْ فَخَرَجْنَا حتى إذا كنا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَنِيَ الزَّادُ؛ فَأَمَرَ أبو عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذلك الجَيْشِ فَجُمِعَ ذلك كُلُّهُ فَكَانَ مِزْوَدَيْ[1] تَمْرٍ، فَكَانَ يُقَوِّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا حتى فَنِيَ فلم يَكُنْ يُصِيبُنَا إلا تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ فقلت: وما تُغْنِي تَمْرَةٌ؟ فقال: لقد وَجَدْنَا فَقْدَهَا حين فَنِيَتْ، قال ثُمَّ انْتَهَيْنَا إلى البَحْرِ فإذا حُوتٌ مِثْلُ الظَّرِبِ[2] فَأَكَلَ منه ذلك الجَيْشُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ لَيْلَةً...)[3].

وكمثال على ذلك أيضاً ما رواه سهل بن سعد قال:

كانت فينا امرأة تجعل على أربعاء في مزرعة لها سلقا، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق، فتجعله في قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير تطحنها، فتكون أصول السلق عَرْقه، وكنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها؛ فتقرب ذلك الطعام الينا فنلعقه، وكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك[4]. وفي رواية وليس فيه شحم ولا وَدَك... فكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك[5].

لقد حمل الصحابة نور الهداية إلى العالم، وأنقذوا الدنيا المعذبة، وهدوا الإنسانية الحائرة بذلك الدين الذي أدخل التوحيد إلى العالم، وأرسى قواعد العدل والمساواة في الإنسانية بين الناس. لقد

---

(١) المزود: ما يجعل فيه الزاد.

(٢) الظرب: الجبل الصغير.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: غزوة سيف البحر) رقم ٤٣٦٠ ص١٠٨٣.

(٤) رواه البخاري في كتاب الجمعة (باب: قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ رقم ٩٣٨ ص٢٨٤.

(٥) رواه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة (باب: ما جاء في الغرس) رقم ٢٣٤٩ ص٦٠٥

كانوا حريصين على إخراج الناس من ضلالات الكفر والشرك إلى نور الهداية والإيمان، وعبّر عن ذلك (ربعي بن عامر رضي الله عنه) بأوضح بيان لقائد الفرس رستم قبيل أن ينشب القتال في حرب القادسية لمّا سأله رستم: ما جاء بكم؛ فأجابه بكل عزة وشمم:

(الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الاديان إلى عدل الاسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك، قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قال [رستم]: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي..)[1].

ونحبّ أن نشير هنا إلى أنّ الواحد من الصحابة ما كان يفرح بشيء فرحه بدخول الناس في الإسلام. وكيف لا يكون فرحهم قد تغلغل في سويداء قلوبهم هكذا، وقد سمعوا أو علموا بما قاله النبي ﷺ لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمُرُ النَّعَمِ»[2].

وهنا نرى ظاهرة ما عرفها العالم قديماً ولا حديثاً: فإنّ الناس الذين فتحت بلادهم أُعجبوا بالصحابة الفاتحين، وانضوى كثير منهم تحت لواء الإسلام من غير إكراه، على خلاف ما اعتادته الأمم التي فتحت بلادهم عنوة، وقد قال الإمام مالك:

(بلغني أنّ النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: [والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا])[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٠، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) رقم ٢٤٠٦، ص١٠٦٠.

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للشيخ أحمد بن محمد القسطلاني ٢/ ٥٣٨، شرحه وعلّق عليه: مأمون بن محي الدين الجنّان، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

فلا نعجب إذا علمنا أنّ من العلماء قديماً وحديثاً مَنْ كان يدعو النشء إلى قراءة سيرة النبيﷺ وقراءة سيرة أصحابه؛ لينشأ الفتى المسلم على التأسي بما كان عليه الصحابة من الإخلاص لله ولرسوله، والصدق في الجهاد، والسخاء والبذل والعطاء، وقد قال زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

(كنّا نعلّم مغازي رسول اللهﷺ كما نعلّم السور من القرآن)(١).

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: (كان أبي يعلّمنا المغازي والسرايا ويقول: يا بنيّ، إنّها شرف آبائكم فلا تضيّعوا ذكرها)(٢).

ولا أكتم القارئ الكريم أنّي حين كتبت هذا البحث كنت مستمتعاً بكتابته أكثر من استمتاعي بكتابة كتبي الأخرى؛ لأنّ البحث لم يكلفني كثير عناء؛ إذ كنت قد ذكرت في قسم من كتبي عدداً من تلك المواقف البطولية للصحابة، وأعدت ذكر قسم منها هنا؛ لأنّ تلك الكتب لم تكن متوافرة في الأسواق، ولأنّي حين أدوّن تضحيات الصحابة أزداد بها قوة روحية فوق استفادتي العلمية منها، وما أحوج المسلم في هذا العصر إلى ما يبعث فيه الإيمان الحق، والعزيمة الصادقة، ويقوّي فيه الناحية الروحية التي كانت باعثة للصحابة الكرام على تلك التضحيات.

ومما دعاني إلى ذكر هذه الروائع في تضحيات الصحابة: خوفي على شباب المسلمين من الانجراف وراء الذين افتروا على سيرة مَن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأثاروا حولها شبهات كاذبة لا سند لها من نقل، ولا دليل عليها من عقل؛ ليضللوا المسلمين، ويطعنوا بالإسلام في الصميم، وقد أصاب عبد الرحمن النسائي حين قال:

(إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام: كمن نَقَرَ الباب -أي نقبه- إنما يريد دخول الدار)(٣).

---

(١) السيرة النبوية لابن دحلان ١/ ١٨٧.
(٢) السيرة النبوية لابن دحلان ١/ ١٨٧.
(٣) تهذيب الكمال للحافظ المزي، ١/ ٣٣٩، الطبعة الأولى ١٤٠٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ولمّا سأل الخليفة العباسي محمد المهدي الشيخ عبد الله بن مصعب الزبيري قائلا: (يا أبا بكر، ما تقول فيمن ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: زنادقة... هم قوم أرادوا رسول الله ﷺ بنقص، فلم يجدوا أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك؛ فتنقّصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء؛ فكأنهم قالوا: رسول الله ﷺ يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء.! فقال (الخليفة المهدي): ما أراه الا كما قلت)[1].

ولم أطلق العنان لقلمي ليسترسل في التعليق على تلك الروائع التي ذكرتها في هذا البحث؛ لأنّ أكثرها -إن لم نقل كلها- لا تحتاج إلى شيء من ذلك، وتركت للقارئ أن يتأمّل ويتدبّر فيها.!

أدعو الله تعالى أن يبصرنا بمكايد من يريد الشر بصحابة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه، وأن يجعل عملي هذا وغيره من الأعمال خالصاً لوجهه الكريم، ويتقبلّه منّي القبول الحسن، وينتفع به كل من يقرؤه، ولعلّي أحظى بدعوة صالحة من القارئ بظهر الغيب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.!

* * *

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/ ٤١٧-٤١٨ بتحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٢٢-٢٠٠١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

منزلة الصحابة في القرآن والسنّة

هذه وقفات في سيرة عدد من صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، تتعطّر الدنيا بذكر صبرهم، وتبتهج النفوس بذكر جهادهم، وترق القلوب بقراءة سِيَرهم. إنّ قراءة سِيْرة الصحب الكرام أمر ضروري لكل مسلم -وبخاصة الشباب منهم-؛ ليطلعوا على الأذى والعذاب الذي تحمّله الصحابة في سبيل الثبات على دعوة الله أولاً، وليعتز بتاريخه الذي نشر العدل والمساواة والحرية بين الناس، وأعطى للإنسان كرامته التي طمرها الطغيان في الرغام ثانياً، كما ان القارئ لسيرة الصحابة يصير قارئاً لكثير من سيرة النبيﷺ بعد ذلك، إذ إنّ كثيراً من سيرة الصحابة مع النبيﷺ تُعدّ من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنّ الصحابة كانوا معه في كل مشهد من مشاهده، ورووا عنه ما رأوه بأعينهم، وما سمعوه بآذانهم، وما رواه بعضهم لبعض عن النبي الكريم، وهم العدول الصادقون الذين أثنى الله عليهم في قرآنه الكريم، وأثنى عليهم النبيﷺ، وشرّفهم بصحبة نبيّه والدفاع عن هذا الدين.

وقبل أن أبدأ الحديث في تضحيات الصحابة يحسن *أن أذكر شيئاً من منزلة الصحابة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.*

الصحابة في القرآن

نقرأ القرآن الحكيم، فنجد فيه ذلك المدح والثناء لصحابة النبيﷺ، كما نقرأ حديثه عليه الصلاة والسلام في تبيان فضلهم ومكانتهم أيضاً..وهذه الآيات والأحاديث في مدحهم والثناء عليهم: منها ما جاء على وجه العموم، ومنها ما جاء على وجه الخصوص لأولئك الأطهار الأبرار، الذين اختارهم الله لصحبة نبيّه ليكونوا وزراءه، ويحملوا دعوة الإسلام في حياته وبعد مماته ويبلّغوها إلى العالم، فورد ثناء الله على الصحابة في الجملة في أربعة عشر موضعاً في القرآن الكريم، وورد في السنة

ثناؤه صلوات الله وسلامه عليه على الصحابة في الجملة أيضاً في أحاديث صحيحة وحسنة. وهذه مقتطفات من ثناء الله على الصحابة، قال الله تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة التوبة.

تحمل هذه الآية الكريمة شهادة من الله تعالى للسابقين الأولين ممن انضوى تحت لواء الإسلام رضوان الله تعالى عنهم، ومن رضي الله عنه أدخله جنته. وقد استحق الصحابة الكرام هذا المدح من ربّ العالمين؛ لأنّهم آمنوا بالله حقّ الإيمان، وهاجروا إلى الحبشة من أجل الثبات على دينهم، ثمّ هاجروا إلى المدينة لما دعاهم النبيﷺ إلى الهجرة إليها. كما نجد المدح والثناء للأنصار: أولئك الذين آووا المهاجرين وفتحوا لهم قلوبهم وبيوتهم، وكذلك لمن نهج نهجهم ممن اتبع السابقين من المهاجرين والأنصار، ويكفي الصحابة هذا الفخر ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ .! فأي مدح أفضل من هذا المدح، وأي ثناء أعظم من هذا الثناء! فقد أكرمهم الله سبحانه بجنات النعيم حين رضي عنهم. ويشترك الأنصار مع إخوانهم المهاجرين في هذا المدح والثناء، فهم الذين آمنوا بالله ورسوله من الأوس والخزرج، فبايعوا النبيﷺ بيعة العقبة، واضعين أمامهم أنّ العرب سترميهم عن قوس واحدة، ولم يبتغوا من وراء ذلك إلا رضوان الله.

إنّهم صحابة النبي! فما بعد تعديل الله لهم من تعديل. وهل هناك منزلة أعلى من منزلة من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟!

وقوله: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الفتح.

المتأمّل بالآية الكريمة يجد أنّ هذا الثناء هو أبلغ ثناء وأعطره على صحابة نبيّه السابقين. ويكفي أنّه صادر من ربّ العالمين في صحابة نبيّه السابقين من المهاجرين والأنصار؛ فقد كان الله ﷻ يعلم

معدن صحابة نبيّه، وحقيقة إيمانهم، وما قدّموا ويقدّمونه من تضحيات، وأنّهم ستكتب لهم الخاتمة الحسنة، ويموتون على الإيمان الحق –وعلم الله علمٌ أزلي لا يتغيّر ولا يتبدّل- فأثنى عليهم هذا الثناء الذي لم يثن بمثله على أمة من الأمم، فأكرمهم بأنّ رضي عنهم. ولم يقتصر هذا الرضوان على واحد من المبايعين دون الآخر، بل يشمل كل مَنْ بايع تحت الشجرة في غزوة الحديبية على ألا يفرّوا في قتالهم مع المشركين، أو بايعوه على الموت، بعد أن سرى بين الصحابة أنّ كفار مكة قتلوا عثمان بن عفّان الذي حمل رسالة النبيﷺ إليهم.

إنّه الرضوان من الله عن صحابة النبي وكفى، أنزل الله فيه قرآناً يُتلى آناء الليل وأطراف النهار. وتظلُّ أجيال المسلمين ترتل هذا الرضوان من الله عن الصحابة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهنيئاً لكم يا صحابة النبي ببشارة رسول اللهﷺ لكم «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[1].

ويا خسارة من أبغض الصحابة وتطاول لسانه في الإساءة إليهم.!

ويا ويل من سبّ وأبغض من رضي الله عنهم.!

وقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ سورة الأحزاب.

ولا تحتاج الآيتان الكريمتان إلى تفسير وبيان، فهو الثناء المبين من رب العالمين لأولئك الذين أطبقت عليهم قبائل الكفر والشرك من كل جانب، فجاءت الأحزاب بخيلها ورجلها، وقضها وقضيضها تبغي استئصال المسلمين من المدينة، ويقف الصحابة ذلك الموقف الذي لا يستطيع أن يقفه أحد غيرهم، فلم يتزعزع منهم الإيمان حين رأوا من جبهة الكفر ما رأوا، بل ازدادوا إيماناً،

(١) رواه أبو داوٗد في كتاب السنة (باب: في الخلفاء) رقم ٤٦٤٠، (عون المعبود) ١٢/ ٢٢٣، والترمذي في كتاب المناقب (باب: في فضائل من بايع تحت الشجرة)، رقم ٣٨٦٩ (تحفة الأحوذي) ١٠/ ٣٣٣.

وثبتوا في أحرج المواقف: فهم رجال كملت الرجولة فيهم، ومن هؤلاء من أدّى ما ألزم به نفسه، فقاتل في سبيل الله، حتى وقع شهيداً، ومنهم من ظلّ على العهد الذي عاهد عليه الله، فقاتل في سبيل الله، فهو ينتظر إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، فلم ينقضوا عهدهم مع الله كما نقضه المنافقون، فهم في شوق إلى لقائه تعالى.! هكذا اعتلى الصحابة ذروة الإيمان.!

أوليس هؤلاء الصحابة من تتعطّر الدنيا بذكرهم؟.

بلى، ويكفيهم شرفاً أنهم أصحاب رسول الله ﷺ.!

وقوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الفتح.

في الآية ثناء من الله على رسوله محمدﷺ، فهو رسول الله وكفى بهذه المنزلة رفعة من الله. وجاء الثناء بعد ذلك على صحابة النبي فوصف شدتهم على الكفّار ورحمتهم بالمؤمنين فيما بينهم، فيكثرون من طاعة الله وعبادته من أجل الحصول على رضوانه، وتظهر سيماء تلك الطاعة على وجوههم.

إنّ فضل الصحابة على الدنيا كثير، فقد استطاعوا أن يغيّروا وجه العالم، ويُدخلوا التوحيد إلى كثير من البلاد بفضل دعوتهم وجهادهم في سبيل الله. ونحن المسلمين اليوم في قارات الدنيا ثمرة من ثمرات دعوة الصحابة إلى الإسلام بصدق الدعوة، ولولا الصحابة لما كان كثير من الشعوب اليوم ينضوي تحت لواء الإسلام.

الصحابة في السنّة

وأمّا أحاديث النبيﷺ في الثناء على صحابته رضي الله عنهم فكثيرة أيضاً[1] ومن تلك الأحاديث:

---

(١) لزيادة الاطلاع: تنظر تلك الأحاديث في كتابي (صور من صحابة النبيﷺ في القرآن والسنة) وكتابي الآخر: (ما ينبغي أن يعرفه المسلم عن الصحابة).

(عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» - قال عمران: فلا أدري أذَكَر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة- «ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن»[1].

واضح من هذا الحديث أنّ القرن الذي بُعث به النبي ﷺ وعاش فيه الصحابة الكرام هو خير القرون، والقرن الذي يليه هو قرن أبناء الصحابة، والقرن الثالث هو قرن أبناء أبنائهم. ولقد كان قرن النبي خير القرون؛ لأنّ فضل الصحبة لا يعدلها شيء؛ لأنهم آمنوا بالله وبرسوله في حياة النبي، ودافعوا عن هذا الدين، وهاجروا في سبيل الحفاظ على دينهم، وفي سبيل نصرة الإسلام أيضاً.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«يَأْتِي على الناس زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ من الناس فَيُقَالُ لهم: فِيكُمْ من رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَقُولُونَ: نعم فَيُفْتَحُ لهم، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ من الناس فَيُقَالُ لهم: فِيكُمْ من رَأَى من صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَقُولُونَ: نعم فَيُفْتَحُ لهم، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ من الناس فَيُقَالُ لهم: هل فِيكُمْ من رَأَى من صَحِبَ من صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَقُولُونَ نعم فَيُفْتَحُ لهم»[2].

وعن أبي بُرْدَةَ عن أبيه قال: (صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مع رسول الله ﷺ ثُمَّ قُلْنَا: لو جَلَسْنَا حتى نصلي معه الْعِشَاءَ قال: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فقال: «ما زِلْتُمْ هاهنا؟» قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حتى نصلي مَعَكَ الْعِشَاءَ قال: «أَحْسَنْتُمْ أو أَصَبْتُمْ». قال: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ وكان كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ فقال: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فإذا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أتى السَّمَاءَ ما

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ) رقم ٣٦٥٠، ص٦١٢،

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب) رقم ٢٨٩٧، صحيح البخاري ومعه هدي الساري ص٧٤٨، ومسلم -واللفظ له- في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) صحيح مسلم ٤/ ١٩٦٢.

تُوعَدُ، وأنا أمَنَة لِأَصْحَابِي، فإذا ذَهَبْتُ أتى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أمَنَة لِأُمَّتِي فإذا ذَهَبَ أَصْحَابِي أتى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ»[1].

وفي هذا الحديث ثناء من النبي الكريم على صحابته، مبيّناً أنّ فضلهم إلى مَنْ بعدهم كفضل النبيﷺ إلى صحابته: فكما أنّ النبي أمان لأصحابه يجمعهم على الخير والنور والهدى، فكذلك صحابته أمان لأمته من ظهور البدع.

وقال:

«لا تسبوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد، ذهباً ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه»[2].

وقال:

«الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحبي أحبّهم، ومن أبْغَضهم فببغضي أبْغَضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله، فيوشك أن يأخذه»[3].

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: بيان أنّ بقاء النبيﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة) رقم ٢٥٣١، صحيح مسلم ٤/ ١٩٦١. ورواه الإمام أحمد برقم ١٩٤٥٨. مسند الإمام أحمد ١٤/ ٥١٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبيﷺ رقم ٣٦٧٣، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: تحريم سب الصحابة) رقم ٢٥٤١، وأبو داوُد في كتاب السنة (باب: النهي عن سب أصحاب رسول اللهﷺ) رقم ٤٦٤٦، عون المعبود ١٢/ ٢٢٧، والترمذي في كتاب المناقب (باب: فيمن سب أصحاب النبيﷺ) رقم ٣٨٧٠، تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٣٤، وابن ماجه في المقدمة (باب: فضل أهل بدر) رقم ١٦١، سنن ابن ماجه ١/ ٥٧.

(٣) رواه الإمام أحمد برقم ٢٠٤٥٦. المسند ١٥/ ٢٥٣ بتحقيق: حمزة أحمد الزين، والترمذي في كتاب المناقب (باب: فيمن سب أصحاب النبيﷺ) رقم ٣٨٦٢، وابن حبان في (باب: فضل الصحابة والتابعين) رقم ٧٢١٢، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/ ١٨٩ بتحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الثانية ١٤١٧-١٩٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٨٧، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

ومعنى «لا تتخذوهم غرضاً بعدي»: أي لا تجعلوهم هدفاً ترمونهم بأقوالكم بما يقلل شأنهم، ويزهّد فيهم، ويبغّضهم إلى النّاس.

وقال:

«أنتم تتمون سبعين أمّة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»(١).

إنّ هذه الأحاديث وأمثالها تنبئ عن تلك المكانة العالية التي تبوأها صحابة النبيﷺ. وتعظم مكانة الصحابة حين يصدر هذا المدح والثناء من لدن مَنْ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ صلوات الله وسلامه عليه، ولم يثن النبيﷺ على صحابته ذلك الثناء العاطر إلا بعد أن عرف معدنهم في الدعوة إلى الله، واتصافهم بكل صفات الفضل والإيمان، وفي معامع الحروب...وهذه الأحاديث مع مثيلاتها لا يحتاج القارئ لها إلى شرح، فهي بينة المعنى، واضحة الدلالة.

من أقوال الصحابة في الصحابة

عاش الصحابة فيما بينهم إخوة متحابين متعاونين على الخير، وليس في قلوب بعضهم على بعض حقد أو غل أو حسد، وقد تمثلت فيهم الأخوة الإسلامية في أجمل صورة من الصور.. وكيف لا يكونون كذلك وقد تربوا على عين الرسول محمدﷺ، فنالوا هذه المنزلة العظيمة –منزلة الصحبة– وقد شهد الصحابة في جيلهم شهادة حق وهي شهادات عينية من صحابة في رفاقهم. فهذا سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصف الصحابة الذين عايشهم فيقول:

(لقد رأيت أصحاب محمدﷺ، فما أرى أحداً يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم! كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم. إذا ذُكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف؛ خوفاً من العقاب، ورجاءاً للثواب)(٢).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول اللهﷺ (باب: ومن سورة آل عمران) رقم ٣٠٠١، ص٦٧٢.

(٢) نهج البلاغة ص١٧٨، شرح الإمام محمد عبده، وتحقيق: أحمد جاد، الطبعة الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٦،

ويقول رضي الله عنه في خطبة ثانية:

(أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فوَلِهوه وَلَهَ اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفاً صفاً، بعض هلك، وبعض نجا، لا يُبشّرون بالأحياء، ولا يُعَزَّوْن عن الموتى، مُرْهُ العيون من البكاء، خمصُ البطون من الصيام، ذُبُل الشفاه من الدعاء، صفرُ الألوان من السهر، على وجوههم غَبَرَة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعضَّ الأيدي على فراقهم)[1].

ولمّا توفي أبو بكر الصدّيق رثاه سيدنا علي بخطبة من أبلغ الخطب، فقد جاء إلى دار أبي بكر، فوقف على بابه وهو يقول:

(رحمك الله أبا بكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأنسه، وثقته وموضع سره، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفَهم لله، وأعظمَهم غناءاً في دين الله، وأحوطَهم على رسول الله، وأثبتهم على الإسلام، وأيمنَهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرَهم مناقب، وأفضلَهم سوابق، وأرفعَهم درجة، وأقربَهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ سنناً وهدياً، ورحمة وفضلاً، وأشرفَهم منزلة، وأكرمهم عليه، وأوثقَهم عنده؛ فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً...)[2].

ويقول سيدنا علي وهو يثني على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

(لله بلاء فلان [يعني عمر بن الخطاب]؛ فلقد قوّم الأَوَد [عدّل الاعوجاج]، وداوى العَمَد [داوى العلّة]، وأقام السنة، وخلّف الفتنة [أي: لم يدرك الفتنة ولم تدركه]، ذهب نقيّ الثوب، قليل

دار الغد الجديد، القاهرة.

(١) نهج البلاغة ص٢٠٨.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني ص١٤٣-١٤٥، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة.

وهذه الخطبة من أبلغ الخطب لسيدنا علي. ومن أرادها كاملة فليراجعها في الكتاب المذكور.

العيب، أصاب خيرها، وسبق شرّها، أدى إلى الله طاعته، واتّقاه بحقّه)[1].

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراءَ نبيه يقاتلون على دينه...)[2].

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

(مَنْ كان منكم مستناً فليستنَّ بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فأنهم كانوا على الهدى المستقيم)[3].

وقال سعيد بن زيد العدوي -أحد العشرة المبشرين بالجنة-:

(والله لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبَّرُ فيه وَجْهَهُ مع رسول الله ﷺ أَفْضَلُ من عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عليه السَّلاَمُ)[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/ ٢٠٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة ١٤٣٢ـ ٢٠١١، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) رواه الإمام أحمد برقم ٣٦٠١، ٣/ ٥٠٥ الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥، دار الحديث، القاهرة. وفي (فضائل الصحابة) ٥٤١، والطبراني والطيالسي والبغوي والبزار. أنظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٩٦.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ١/ ٣٠٥-٣٠٦، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٤) رواه الإمام أحمد برقم ١٩٢٦، المسند ٢/ ٢٨٩.

في صحبة النبي الكريم

حب الصحابة للنبي ﷺ

إذا كانت النفوس البشرية قد طُبعت على طاعة المحبّ لمحبوبه كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (إنّ المحبّ لمن يحب مطيع)، فكيف إذا كانت تلك المحبة عبادة يتقرّب بها المسلم إلى الله تعالى؟! ونقرأ القرآن الحكيم، فنجد الله تعالى قد خاطب نبيّه محمداً ﷺ، آمراً له أن يقول لقومه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة آل عمران.

وهنا نجد الله تبارك وتعالى قد اشترط على من يريدون محبته أن يتبعوا رسوله محمداً ﷺ في كل أمر ونهي. لذلك نجد استجابة الصحابة للنبي الكريم قد أصبحت أنموذجاً لا نجد نظيراً له على مدى التاريخ. ولقد صارت محبة المسلم للنبي ﷺ واجبة. وكيف لا تكون واجبة وقد كان صلوات الله وسلامه عليه سبباً في إخراج أمتنا من ضلال الكفر والشرك إلى نور الهداية والإيمان.؟! إنّ الله ﷻ فطر النفوس البشرية على حب من أحسن إليها مرة أو مرتين، فكيف بالإحسان الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله بهذا الدين؟! إنّه ليس بعد فضل الله فضل كفضل رسول الله ﷺ، وليس في الكون كلّه نعمة تعدل نعمة الإيمان بالله الإيمان الحق (فحق على من أدرك عظمة هذه النعمة أن يحب من أوصلها إليه)[1]، وقد نصّ الله تعالى في قرآنه المجيد على وجوب محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، وتقديم تلك المحبة على كل شيء من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والمال، وتوعّد سبحانه من يقدّم حبّ شيء من الأشياء الثمانية على حبّ الله وحبّ الرسول والجهاد في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ

(١) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ٢/ ٦٣٩، الطبعة الثامنة ١٤٣٠-٢٠٠٩، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية.

﴿إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ سورة التوبة.

ولقد فهم الصحابة الكرام ما تعنيه الآية الكريمة، فأحبوا نبيهم صلوات الله وسلامه عليه أكثر من حبهم آباءهم وأبناءهم والناس أجمعين، بل أحبوه أكثر من حبّهم لأنفسهم، وقد سُئل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ فقال:

(كان والله أحبّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ)[1].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (ما كان أحد أحبّ إلي من رسول الله ﷺ)[2].

وكم كان فرح الصحابة عظيماً حين جاء أعرابي وسأل النبي ﷺ: المرء يحبّ القوم ولمّا يلحق بهم؟ فأجابه النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»[3].

وقال ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [4].

وقد نصّ النبي ﷺ على أنّ المسلم يجد حلاوة الإيمان في ثلاثة أشياء، إحداها: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما فقال:

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[5].

فلا نعجب إذا علمنا أنّ الصحابة أحبّوا النبي الكريم من صميم قلوبهم حباً لم يُسمع بمثله

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي ٢/ ١٥، حققه: عبد السلام محمد أمين، الطبعة الثالثة ١٤٢٧-٢٠٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٥.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الدعوات (باب: ما جاء في فضل التوبة والاستغفار) رقم ٣٥٣٥، ص٨٠٦.

(٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان) رقم ١٥، ص٦.

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: حلاوة الإيمان) رقم ١٦، ص٦.

قط. وقد وقف المشركون في ذهول أمام ما يسمعونه بآذانهم وما يرونه بأعينهم من حب الصحابة لرسول اللهﷺ. فهذا (عروة بن مسعود الثقفي) يقول لأصحابه بعدما رجع من الحديبية..

(أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك: على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخّم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلَكَ بها وجهه وجلده وإذا أمرهم إبتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئِهِ، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون اليه النظر تعظيماً له..)[1].

وهذه ثلاثة نماذج فقط من نماذج كثيرة، تدل على حب الصحابة للنبي وطاعتهم له:

١- أول خطيب دعا الى الله والى رسوله ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها: (لما أجتمع أصحاب النبيﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على رسول اللهﷺ في الظهور؛ فقال: «يا أبا بكر إنا قليل»، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول اللهﷺ جالس فكان أول خطيب دعا الى الله والى رسولهﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطيء أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاءت بنو تيم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب. فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول اللهﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لامه أم الخير، أنظري أن تطعميه شيئاً أو

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/ ٢٦١ بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الرابعة ١٤٢٥-٢٠٠٥، مؤسسة الرسالة بيروت.

تسقيه إياه فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك. فقال: إذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى أتت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إنّ قوماً نالوا هذا منك لاهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت سالم صالح، قال: وأين هو؟ قالت: في دار ابن الارقم، قال فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكيء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ)[1].

٢- بين الولد المؤمن ووالده المنافق

كان عبد الله بن أبيّ رأساً للمنافقين في المدينة، وكان ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبيّ على العكس من ذلك، كان من المؤمنين الصادقين وقد كان والده رأسَ النفاق ينتهز الفرصة بعد الفرصة ليؤذي النبي ﷺ ومن آمن معه، فلمّا وقع شجار بين واحد من المهاجرين وآخر من الأنصار، وكسع المهاجري الأنصاري انتهزها ابن أبيّ فرصة ليحرِّض أهل المدينة على النبي والمسلمين، فقال كما حكى القرآن الكريم ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ سورة المنافقين/ ٨.

وسمع النبي ﷺ بما قاله رأس المنافقين فدعا ابنه المؤمن عبد الله بن عبد الله وقال له: «ألا ترى ما يقول أبوك؟» قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: «يقول: لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل». فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعزُّ وهو الأذلُّ، أما والله لقد قَدِمت

(١) البداية والنهاية لابن كثير، / ٣٢-٣٣، وثّقه وقابل مخطوطاته الشيخ: علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به، فقال رسول الله ﷺ: لا؛ فلما قدموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ على بابها بالسيف لأبيه؛ ثم قال: أنت القائل: [لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ]، أما والله لتعرفنّ العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبدًا إلا بإذن من الله ورسوله؛ فقال: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي، يا للخزرج ابني يمنعني بيتي! فقال: والله لا تأويه أبدًا إلا بإذن منه؛ فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله، فأتوا النبيّ ﷺ فأخبروه، فقال: «اذْهَبُوا إِلَيْهِ، فَقُولُوا لَهُ خَلِّهِ وَمَسْكَنَهُ»؛ فأتوه، فقال: أما إذا جاء أمر النبيّ ﷺ فنعم))[1].

٣- زيد بن الدثنَة

زيد بن الدثنة صحابي جليل أنصاري، شهد غزوتي بدر وأحد. وقد ذكر ابن الأثير: أن نفراً من (عضل) و(القارة) قدموا على رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد، فقالوا: إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك، يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، فبعث رسول الله ﷺ معهم خبيب ابن عدي وزيد بن الدثنة ونفراً، فخرجوا، حتى إذا كانوا بالرجيع فوق الهدأة، (موضع بين عسفان ومكة) فأتتهم هذيل فقاتلوهم، وقد أسر زيد فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فأمر مولى يقال له: نسطاس، فخرج به إلى التنعيم ليقتله. وقبل أن يقتل قال له أبو سفيان نشدتك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك، فنضرب عنقه وإنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي.! فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحبِ أصحاب محمدٍ محمداً. ثم قتل رضي الله عنه، وكان قتله سنة ثلاثٍ من الهجرة[2].

---

(١) تفسير الطبري ٢٨/ ١١٤-١١٥، الطبعة الثانية ١٣٧٣-١٩٥٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢/ ٢٤٣-٢٤٤، الطبعة الثالثة ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار

وترّس أبو دجانة (يوم أحد) على رسول الله ﷺ بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرّك[1]. ومصّ مالك الخدري -وهو والد أبي سعيد الخدري- جرح رسول الله ﷺ حتّى أنقاه، قال له مجّه، قال: والله لا أمجّه أبداً ثمّ أدبر)[2].

ولمّا وقعت مأساة المسلمين في غزوة أحد، وقُتل من قُتل من الصحابة، وكانوا سبعين صحابياً، مرّ النبي الكريم بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها في تلك الغزوة، فلمّا أخبروها باستشهاد أعزائها الثلاثة قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ [إنّما تريد الاطمئنان على سلامته] قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأُشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل[3].! (أي: كل مصيبة بعد سلامتك هينة صغيرة.! ولفظ جلل من ألفاظ الأضداد).

استجابة الصحابة للنبي ﷺ

حين نقرأ أحاديث النبي ﷺ، نجد فيها الحثّ على المبادرات إلى الخيرات؛ ذلك لأنّ الإنسان لا يعلم ما خُبّئ له في المستقبل من فتن وأهوال قد تضعفه عن أداء الخيرات والطاعات فقال النبي ﷺ:

«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا»[4].

وتلقّى جيل الصحابة تلك الأوامر والنواهي من النبي الكريم، فتسارعوا إلى العمل بها فور سماعها وضربوا المثل الأعلى في ذلك. فهذا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه يروي أنّ قوماً من مضر وفدوا على رسول الله ﷺ في أوّل النهار وهم حفاة عراة، فتغيّر وجه النبي ﷺ إشفاقاً عليهم، وجمع

المعرفة بيروت.

(١) زاد المعاد ٣/ ١٧٧.

(٢) زاد المعاد ٣/ ١٨٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٥٣٣.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن) رقم ١١٨، ص٦٣.

الصحابة وحثّهم على الصدقة، فتتابع الناس حتى جمعوا كومين من طعام وشراب؛ فتهلل وجه النبيﷺ بمبادرة الصحابة إلى معونة إخوانهم[1].

ونستطيع أن نقول من غير تردد: إنّ استجابة الصحابة للنبيﷺ في كل أمر ونهي كانت أكثر بكثير من استجابة الجندي المخلص المطيع الذي يسمع الأمر من رئيسه فينفذه فور سماعه من غير تردد، وكمثال على ذلك: لمّا نزل قول الله تعالى في تحريم الخمر، وقرأه النبي على الصحابة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ سورة المائدة. استجابوا لذلك، ويدل على هذا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال)[2].

حول محبة المسلم للصحابة

ذكرنا -فيما مضى- شيئاً من ثناء الله تعالى على الصحابة ورضاه عنهم، وثناء النبيﷺ أيضاً، ووجوب محبته صلوات الله وسلامه عليه. ويلحق بمحبة النبي: محبة أصحابه الأبرار، وآل بيته الأطهار، فقد قال النبيﷺ:

«آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[3].

---

(١) ينظر نصّ الحديث في صحيح مسلم، كتاب الزكاة (باب: الحث على الصدقة ولو بشقّ تمرة) رقم ١٠١٧، ص٤١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٦٥، بتحقيق: الدكتور حكمت بشير، الطبعة الأولى ١٤٣١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي (باب: علامة الإيمان حبّ الأنصار) رقم ١٧، ص٦، ومسلم في كتاب الإيمان (باب: الدليل على أنّ حبّ الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان) رقم ٢٣٥.

وقال: «لو أنّ الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»(١).

وقال:

«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»(٢).

هؤلاء هم الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ فهم خير خلق الله بعد أنبياء الله ورسله وخواصّ الملائكة المقرّبين، فصارت محبتهم فرضاً وبغضهم معصية، يقول الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني: (محبة من أحبّه الرسول ﷺ: كآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم، علامة على محبّة رسول الله ﷺ، كما أنّ محبته علامة على محبّة الله تعالى. وكذلك عداوة من عاداهم، وبغض من أبغضهم وسبّهم، فمن أحبّ شيئاً أحبّ من يحبّ وأبغض من يبغض، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ سورة المجادلة. فحبّ آل بيته وأصحابه وأولاده وأزواجه من الواجبات المتعينات، وبغضهم من الموبقات المهلكات. ومن محبتهم: وجوب توقيرهم وبرّهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بأن يمشي على سنتهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم، مما ليس للعقل فيه مجال، وحسن الثناء عليهم بأن يُذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم، فقد أثنى الله عليهم في كتابه المجيد، ومن أثنى الله عليه فهو واجب الثناء... قال سهل بن عبد الله التستري: [لم يؤمن بالرسول ﷺ من لم يوقّر

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب: قول النبي ﷺ: ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار) رقم ٣٧٧٩، ص٦٣٤.

(٢) رواه أبو داؤد في كتاب السنة (باب: في الخلفاء) رقم ٤٦٤٠، عون المعبود ١٢/ ٢٢٣، والترمذي في كتاب المناقب (باب: في فضل من بايع تحت الشجرة) رقم ٣٨٦٩، تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٣٣.

أصحابه، ولم يعزّ أوامره])[1].

ويشرح القسطلاني حديث النبيﷺ: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[2]، فيقول:

(الحديث -كما قال بعضهم- خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبّهم، والترهيب عن بغضهم. وفيه إشارة إلى أنّ حبّهم من الإيمان وبغضهم كفر؛ لأنّه إذا كان بغضهم بغضاً له كان كفراً بلا نزاع للحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»)[3].

حكم من سبّ الصحابة

مرّ بنا شيء من ثناء الله تعالى على الصحابة في القرآن الكريم، ومن ثناء النبيﷺ عليهم أيضاً، وإذا كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: (إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول اللهﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام)[4]، فما حكم من يسب مجموع الصحابة أو واحداً منهم؟ إنّه يكون -ولا شك- آذى الله وآذى رسوله، ومنذ ذلك الحين يصير ملعوناً مطروداً من رحمة الله.

ولقد ذهب العلماء مذهبين في حكم من سبّ الصحابة:

الأوّل: إنّ الساب يكون قد ارتكب كبيرة من الكبائر. وإذا اعتقد أنّ سبّ الصحابة مباح أو اعتقد بكفرهم فيصير كافراً بإجماع العلماء. يقول الإمام مالك إمام دار الهجرة:

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأحمد بن محمد القسطلاني ٢/ ٥٤٨.
(٢) شرحنا الحديث وذكرنا تخريجه في الصفحة ١٨.
(٣) المواهب اللدنية ٢/ ٥٤١، والحديث رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب: حب الرسولﷺ من الإيمان) رقم ١٥، ص٦، ومسلم في كتاب الإيمان (باب: وجوب محبة رسول اللهﷺ أكثر من الأهل والمال والوالد والناس أجمعين) رقم ١٦٩.
(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥٩/ ٢٠٩، تحقيق: محب الدين العمروي، طبع سنة ١٤١٥-١٩٩٥، دار الفكر، بيروت.

(من شتم أحداً من أصحاب النبيﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص: فإنْ قال: كانوا على ضلال وكفر قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نُكِّل نكالاً شديدا)[1].

وإذا حدث أن شتم أحد الناس واحداً من الصحابة، ووصل أمره إلى الحاكم، فليس للحاكم أن يعفو عنه، بل يعاقبه بما يناسبه من عقوبة ويستتيبه. يقول تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي:

(ولا يجوز للسلطان أن يعفو عن أحد وقع في أحد من الصحابة، بل يعاقبه ويستتيبه: فإن تاب قُبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخَلّدَ عليه الحبس حتى يموت أو يرجع)[2].

ولقد كان موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه حازماً من كل من يشتم واحداً من الصحابة. فلمّا وقع بين عبيد الله بن عمر بن الخطاب وبين المقداد كلام، فشتم عبيد الله المقداد وعلم بذلك عمر فماذا كان؟ (قال عمر: عليّ بالجلاد أقطع لسانه، لا يجترئ أحد بعده، يشتم أحداً من أصحاب رسول اللهﷺ، فهمّ عمر بقطع لسانه، فكلّمه فيه أصحاب محمدﷺ فقال: ذروني اقطع لسان ابني، حتى لا يجترئ أحد من بعدي يسبّ أحداً من أصحاب محمدﷺ. ولعلّه إنّما ترك ذلك لأجل شفاعة الصحابة، ولعلّ المقداد عفا)[3].

الثاني: تكفير من يسبّ الصحابة، وبخاصة إذا كان مستحلاً لذلك، وهذا ما ذهب إليه أبو يعلى الحنبلي، وهناك من فقهاء الكوفة وغيرهم من قطع بقتل من سبّ الصحابة[4]. يقول أبو زرعة الرازي:

(إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللهﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىﷺ للقاضي عياض ٢/ ١٨٤.

(٢) السيف المسلول على من سبّ الرسول، تأليف: تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ص٤٢٢، حققه وعلّق عليه: إياد أحمد الغوج، الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠٠، دار الفتح، عمّان، الأردن.

(٣) السيف المسلول على من سبّ الرسول للسبكي ص٤٢٥.

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص٥٧٥.

الرسولﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول اللهﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة)[١].

وهكذا الأمر في كل من قذف السيدة عائشة رضي الله عنها بما برّأها الله منه في القرآن الكريم، فإنّ قاذفها كافر بإجماع المسلمين؛ لأنّ براءتها جاءت بنصّ قطعي الثبوت والدلالة.

ويتقدّم الإمام الشوكاني بنصيحة صادقة لكل من يسيء إلى الصحابة فيقول:

(فيا من أفسد دينه بذم خير القرون، وفعل بنفسه ما لا يفعله المجنون! إن قلت اقتديت في سبهم بالكتاب العزيز، كذبك في هذه الدعوى من كان له في معرفة القرآن أدنى تبريز؛ فإنه مصرح بأن الله -جل جلاله- قد رضي عنهم، ومشحون بمناقبهم، ومحاسن أفعالهم، ومرشد إلى الدعاء لهم، وإن قلت اقتديت بسنة رسول الله ﷺ المطهرة، قام في وجه دعواك الباطلة ما في كتب السنة الصحيحة، من مؤلفات أهل البيت وغيرهم، من النصوص المصرحة بالنهي عن سبهم، وعن أذية رسول اللهﷺ بذلك، وأنهم خير القرون، وأنهم من أهل الجنة، وأن رسول اللهﷺ مات وهو راضٍ عنهم...)[٢].

* * *

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٤٨، علّق عليه الشيخ: زكريا عميرات، الطبعة الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٢) أوجز الخطاب، تأليف: أبي محمد الحسيني ص ١٦١، الطبعة الأولى ١٤١٣-١٩٩٣.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة

المسلمون المستضعفون في مكة

تفنن المشركون في تعذيب المسلمين المستضعفين في مكة؛ ليفتنوهم عن الإسلام، ويصدوهم عن الإيمان بالله الإيمان الحق، فكانوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، ويضعونهم فوق رمال مكة حين يشتد الحر، ويكوونهم بالنار، بل يحرقون بعض أجسادهم به. واستمر التعذيب بالمسلمين المستضعفين مدة مديدة، فمنهم من أعطاهم ما يريدون من الكلام ليخلّصوا أنفسهم من ذلك العذاب الشديد، ومنهم من ظلّ يتحمّل العذاب بعد العذاب وهو صابر محتسب. روى ابن إسحاق عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: يا أبا العباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يُعْذَرون به في ترك دينهم؟ فقال: نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به، حتى أنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة، وحتى يقولوا: أللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، وحتى أن الجعل ليمر بهم فيقولون أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، إفتداءاً منهم لما يبلغون من جهده(1).

صور من تعذيب بلال رضي الله عنه

وكمثال على ذلك التعذيب ما كان من أمر بلال بن رباح رضي الله عنه، فقد آمن بالله ورسوله، وتمكّن الإيمان في قلبه، فلم يُلق بالاً لكل ما كان يعانيه من عذاب، قال ابن هشام متحدثاً عما لاقاه بلال من العذاب:

---

(1) سيرة ابن اسحاق لمحمد بن اسحاق بن يسار ص١٧٢-١٧٣ بتحقيق وتعليق: محمد حميد الله.

(كان أمية بن خلف يخرجه [أي يخرج بلالاً] إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: [لا والله] لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول -وهو في ذلك البلاء- أحد أحد)[1].

وروى البلاذري عن عمرو بن العاص قال: مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء [أي في الرمل الشديد الحرارة من الشمس] ولو أنّ بَضعة لحم وضعت عليه لنضجت وهو يقول: أنا كافر باللات والعزى، وأمية مغتاظ عليه فيزيده عذاباً، فيقبل عليه فَيَذْغَتُ في حلقه؛ فيغشى عليه، ثم يفيق[2].

وروى البلاذري أيضاً عن بلال قال: أعطشوني يوماً وليلة، ثمّ أخرجوني فعذّبوني في الرمضاء في يوم حار[3].

صور من تعذيب خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أمّا خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان تعذيبه على أيدي المشركين لا يقل عن تعذيب بلال، وظلّ متحملاً العذاب بعد العذاب من ناس ليس في قلوبهم ذرة من رحمة، وهذه نماذج من العذاب الذي أصابه، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(لقد رأيتني يوماً وقد أوقدوا لي ناراً، ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجل رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري، ثم كشف خباب عن ظهره فإذا هو قد برص)[4].

وفي يوم من الأيام يجتمع عمر بن الخطاب بخباب بحضور عدد من الصحابة، فيسأل عمر

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٥٤-٣٥٥، تحقيق: مصطفى السقا وجماعته، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) سبل الهدى والرشاد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ٢/ ٣٥٧، حققه وعلّق عليه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، الطبعة الثانية ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٥٨.

(٤) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٥٩.

خباباً عمّا لقي من المشركين، فيقول:

(يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فنظر فقال: ما رأيت كاليوم.! قال خباب: لقد أوقدت لي نار، وسحبت عليها، فما أطفأها إلا وَدَك ظهري -والوَدَك: دسم اللحم والشحم)[1].

ومن العذاب الذي عُذّب به خباب -وقد كان عبداً- أنّ مولاته أمّ أنمار علمت بإسلامه وتردده على رسول الله ﷺ، فكانت تأخذ الحديدة -وقد أحمتها- فتضعها على رأسه، وقد أصابه ما أصابه من الآلام من ذلك، وقد شكى ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا له النبي الرحيم بقوله: (اللهم انصر خباباً)، ودعوة النبي ﷺ مستجابة، فما الذي حدث؟

لقد اشتكت مولاته أم أنمار من مرض، فكانت تعوي كما تعوي الكلاب، ووصفوا لها أن تكتوي بالنار، فكان خباب يأخذ الحديدة فيحميها ويكوي بها رأسها. وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل.

صور من تعذيب آل ياسر رضي الله عنهم

عُذّب عمّار بن ياسر تعذيباً شديداً، فكان بنو مخزوم يخرجون به وبأبيه ياسر وبأمّه سُميّة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمرُّ بهم رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر؛ موعدكم الجنة[2].

وتفننوا بالتعذيب والقتل، فربطوا سمية بين بعيرين وَوُجِئت بِحَرْبة في قُبلها وقالوا: إنّما أسلمتِ من أجل الرجال فقتلوها، وقتلوا زوجها ياسراً، وهما أول قتيلين في الإسلام[3]. وأمّا عمّار، فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه، فقيل: يا رسول الله، إنّ عماراً كفر، فقال رسول الله ﷺ: [كلا، إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه] فأتى عمار رسول الله ﷺ

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢/٢٢، *تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود*، *الطبعة الثانية* ١٤٢٢-٢٠٠٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٥٦-٣٥٧.

(٣) تفسير الآلوسي ١٤/٣١١، حقق هذا الجزء: زهير القاسم وجماعته، الطبعة الأولى ١٤٣١-٢٠١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

وهو يبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول: [ما لك؟ إن عادوا فعد لهم بما قلت]. وفي رواية: انهم أخذوه فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه. فلما أتى رسول الله ﷺ قال: [ما وراءك] قال: شر، ما تُركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير؛ فنزلت هذه الآية ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ سورة النحل(١).

صور من تعذيب أبي فكيهة

وهذا (أبو فكيهة) واسمه: (أفلح) ويقال: (يسار) كان عبداً لصفوان بن أمية، فلمّا أسلم عذّبه أمية بن خلف، وربط برجله حبلاً، وأمر به فجُرّ، ثم ألقاه في الرمضاء، وجعل يخنقه، فمر به جُعل فقال: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي خلقني وخلقك وخلق هذا الجُعل؛ فغلظ عليه وجعل يخنقه ومعه أخوه أُبيّ بن خلف يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره.

ومن ذلك العذاب: أنه أخرجه نصف النهار مقيداً إلى الرمضاء، ووضع على بطنه صخرة، فدلع لسانه، فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق، وكان يُعذّب حتى لا يدري ما يقول؛ فمر به أبو بكر رضي الله عنه فاشتراه وأعتقه(٢).

صحابة آخرون في العذاب

وهكذا الأمر في (صهيب بن سنان الرومي)، و(عامر بن فهيرة)، و (زنيرة)، و(لبيبة) جارية بني عمرو بن المؤمل، و(أم عنيس)، و(النهدية وابنتها)، و(حمامة أم بلال)...أمّا زنيرة، فقد ظلت تحت العذاب حتى عميت، فقال لها أبو جهل: إنّ اللات والعزى فعلتا بك ما ترين، فقالت –وهي لا تبصر: وما تدري اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يرد بصري، فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد، فاشتراها

---

(١) تفسير الآلوسي ١٤/ ٣١١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٦٠.

أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها[1].

إنّ كل من يقرأ هذه الروايات وأمثالها، ليقف خاشعاً أمام عظمة الصحابة الذين أصابهم ما أصابهم من العذاب الذي انصبّ على المستضعفين من المسلمين صبّاً، ولم يكن ذلك يحول بين دخول الناس في الإسلام.!

فأية منزلة في السمو بلغها الصحابة رضي الله عنهم.؟!

رضي الله عن الصحابة، وجمعنا وإياهم في جنات النعيم.!

* * *

(١) سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٦١.

مع الخلفاء الراشدين

هذه وقفات قليلة مع سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ترينا التجرد لدعوة الله، والاهتمام بشؤون الرعية، والحرص على أموال الأمة كيف يكون، كما ترينا التضحية والبذل والعطاء والزهد في أبهى صورة من الصور، وما أحوج المسلمين إلى التذكّر والتذكير بهذه المكرمات الرائعات.! لعلّنا نزيل شيئاً من الغشاوة عن أعين الناس الذين انطلت عليهم أكاذيب من روايات تاريخية وضعها الشعوبيون الذين فتح بلادهم العرب المسلمون، وزيّنها لهم المفترون على تاريخنا، وكان لعدد من المستشرقين أثر في ترويج تلك الأكاذيب عن أفضل خلق الله بعد أنبياء الله ورسله، وما نذكره هنا أمثلة واقعية حيّة نضعها أمام كل مسلم لعلّنا نقتدي بشيء مما كان عليه الخلفاء الراشدون.!

إنّ الدارس لسيرة الخلفاء الراشدين يقف مطأطئ الرأس أمام عظمتهم؛ فقد قاموا بعد موت النبي ﷺ بتدبير شؤون دولة الإسلام، وتسيير أمور الرعية، ونشر دين الله في الآفاق، مهتدين بهدي النبي الكريم بإقامة العدل بين الناس -كل الناس- وإعطاء كل ذي حقّ حقّه. وننظر في سيرة الخلفاء الراشدين مرّة أخرى فلا نرى واحداً منهم يريد أن يتولّى الخلافة أو إمرة المؤمنين بل كان يتمنّى أن يقوم بها غيره؛ ولذلك لم يستخلف أيّ واحد كان منهم ولداً من أولاده للخلافة، وكانوا يوصون أبناءهم بالابتعاد عن قبول الإمارة أو المسؤولية.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أوّل من أسلم من الرجال، وكان تاجراً في الجاهلية، فحين أعلن إسلامه كان عنده أربعون ألف درهم، أنفق خمسة وثلاثين ألفاً منها قبل الهجرة إلى المدينة المنورة على الدعوة الإسلامية، وأخذ خمسة الآلاف الباقية معه لمّا صحب النبي ﷺ في هجرته المباركة إلى المدينة، وجعلها تحت تصرّف النبي ﷺ، حتى قال النبي ﷺ «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبى

بكر». فبكى أبو بكر وقال وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله)[1].

وإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن عطائه لنشر دعوة الإسلام، نظرنا إلى ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يريد أن يسبق أبا بكر في البذل والعطاء فقال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك عندي مالاً؛ فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إنْ سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً.[2].

ولمّا ولي رضي الله عنه الخلافة قام بأعبائها خير مقام، وقد عُرف بشجاعته وتواضعه، فكان ينصف الرعية من نفسه. ولمّا دنا أجله أوصى ابنته أم المؤمنين عائشة بقوله: (يا بنيّة، إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا ديناراً ولا درهماً ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة؛ فإذا متّ فابعثي بهنّ إلى عمر)[3].

وما إن مات حتى نفّذت السيدة عائشة وصية أبيها. فلمّا وصل ذلك إلى عمر بكى وهو يقول: لقد أتعب من بعده! رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده[4].

ولم يكتف أبو بكر بهذا، بل أوصى ابنته عائشة أم المؤمنين بقوله: (انظروا كم أنفقت منذ ولّيت من بيت المال فاقضوه)[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين برقم ٧٤٤٦، ١٢/ ٤١٤، وابن ماجه في المقدمة (باب: في فضائل أصحاب رسول الله) -فضل أبي بكر الصدّيق- رقم ٩٤، ص١٦.

(٢) رواه الترمذي في (باب: مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)، رقم ٣٦٧٥، ٦/ ص ١٣٦-١٣٧، وهو حديث حسن.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٧٣، اعتنى به وعلّق عليه: محمود رياض الحلبي، الطبعة السادسة ١٤٢٥-٢٠٠٤، دار المعرفة، بيروت.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٣/ ٣٢٦.

(٥) إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق، تأليف الدكتور: حامد محمد الخليفة ٢/ ٨٥٢،

وأوصى بأن يكفّن بثوبين قديمين وقال: (انظروا ثوبيّ هذين فاغسلوهما، وكفنوني فيهما؛ فإنّ الحي أحوج إلى الجديد من الميت)[1].

ومات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما ترك ديناراً ولا درهماً؛ لأنّه أنفق ماله كلّه في سبيل الله.

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ولي أمرة المؤمنين بعد أبي بكر: عمر بن الخطاب، فقام بإدارة دولة الإسلام خير قيام، واتسعت الفتوحات الإسلامية في عهده، واهتم بشؤون الرعية، وقد عُرف بزهده بين النّاس، فكان طعامه الملح والزيت والخل.! وإن ينسَ الناس شيئاً فلن ينسوا يوم دخل على ابنته حفصة أم المؤمنين، فقدمت له مرقاً بارداً وخبزاً، وصبّت في المرق زيتاً، فلم يذق منه شيئاً وقال: أُدمان في إناء واحد! لا أذوقه حتى ألقى الله.!

وفي عام الرمادة -عام القحط الشديد على المسلمين- صار يأكل كما يأكل فقراء المسلمين، وقال قولته التي وعاها سمع الزمن: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصابهم، وقد حلف لا يذوق سمناً ولحماً حتى يحيا النّاس، وأوفى رضي الله عنه بما ألزم به نفسه، وكان في تلك السنة يبكي ويدعو الله بقوله: اللهم لا تجعل هلاك أمّة محمد على يدي.!

ولقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثير الصيام (فلما كان زمان الرمادة، إذا أمسى أُتي بخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وغرفوا له طيبها، فأتي به، فإذا فدر [قطعة] من سنام ومن كبد، فقال أنى هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرناها اليوم، قال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كراديسها[2]، إرفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام. قال: فأتي بخبز وزيت قال: فجعل يثرد ويكسر ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا يرفأ [اسم غلامه]: إحمل هذه الجفنة تأتي بها أهل بيت بثمغ [موضع وقف عمر]؛ فأني لم آتهم منذ ثلاثة أيام،

الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧، عمّان، الأردن.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٧٧.

(٢) الكراديس: رؤوس العظام.

وأحسبهم مقفرين؛ فضعها بين أيديهم)[1].

وفي عام الرمادة هذا بذل جهده ليطعم الرعية، فكتب إلى الأمصار يطلب منهم أن يرسلوا إليه ما يستطيعون إرساله من الطعام والكساء لإغاثة الناس؛ فأرسلوا إليه الدقيق والدهن والكساء، واستعان بمن كان معه، فنحروا الإبل، وطُبخ الطعام، وكان يقوم بتوزيعه على الناس بنفسه.!

أمّا عن حرصه على أموال الأمة، فحدّث عن ذلك ولا حرج، وهذان مثالان على ذلك من أمثلة كثيرة:

١- كان معيقيب مسؤولاً عن بيت مال المسلمين في عهد عمر، فكسح [أي كنس] بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً، فدفعه إلى ابن صغير لعمر، ويحدثنا [معيقيب] عمّا كان بعد ذلك فيقول: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني؛ فجئت، فإذا الدرهم في يده فقال: ويحك يا معيقيب! أوَجدتَ عليّ في نفسك شيئاً؟ أو قال: ما لي ولك ؟!! قلت: وما ذاك؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمدﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة؟[2].

٢- روى ابن الأثير عن مولى لعثمان بن عفان قال: (بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف، إذ رأى رجلاً يسوق بكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح. ثم دنا الرجل فقال: انظر من هذا؟ فنظرت فقلت: أرى رجلاً معتماً بردائه، يسوق بكرين. ثم دنا الرجل فقال: انظر. فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أمير المؤمنين. فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فآذاه لفح السموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مضي بإبل الصدقة، فأردت أن

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٢، و ٣/ ٢٩٠ طبعة الخانجي، *والرياض النضرة للمحب الطبري* ١/ ٣٨٥.

(٢) رحمك الله يا بن الخطاب! درهم واحد تخشى أن تخاصمك أمّة محمد فيه يوم القيامة! فماذا يقول لنفسه بعض حكام البلاد العربية والإسلامية الذين يغضون الطرف عن السرّاق الذين يسرقون أموال الأمة ويخرجونها خارج بلادهم إلى البلاد الأوربية وغيرها؟
كيف تحاسبهم أمتهم أمام الله (يوم يقوم الناس لرب العالمين).

ألحقهما بالحمى، وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما. فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هلم إلى الماء والظل ونكفيك. فقال: عد إلى ظلك. فقلت: عندنا من يكفيك! فقال: عد إلى ظلك. فمضى، فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا!)[1].

وأمّا عن تفقّده أحوال الرعية، فحدّث عن ذلك ولا حرج: مرّ رضي الله عنه برحبة من رحاب المدينة فإذا ببيت شعر ينبعث منه انين امرأة، وعلى بابه رجل قاعد، فسلّم عليه عمر، وسأله من هو؟ فأجابه أنه رجل من البادية جاء يصيب من فضل أمير المؤمنين؛ فقال عمر: ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت؟ قال الرجل -وهو لا يدري أنه عمر أمير المؤمنين-: انطلق رحمك الله لحاجتك ولا تسأل عمّا لا يعنيك، فألحّ عليه عمر يريد معرفة الأمر؛ فأجابه: امرأة تمخّض (أي على وشك الولادة) وليس عندها أحد؛ فعاد عمر الى منزله وقال لامرأته ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل لك في أجر ساقه الله اليك؟ قالت: وما هو؟ فاخبرها الخبر، وأمرها أن تأخذ معها ما يحتاج اليه الوليد الجديد من ثياب، وما تحتاج اليه المرأة من دهن، وأن تأخذ معها قِدراً وتضع فيه حبوباً وسمناً. فجاءت به، فحمل القدر ومشت خلفه حتى انتهى الى البيت، وقال لامرأته: أدخلي إلى المرأة وجلس هو مع الرجل، وأوقد النار وطبخ ما جاء به، والرجل جالس لا يعلم من هو. وولدت المرأة، فقالت زوجة عمر من داخل البيت: بشّر يا أمير المؤمنين صاحبك بغلام.! فلما سمع الأعرابي ذلك علم انه مع أمير المؤمنين، فكأنه هابه؛ فأخذ يبتعد عنه وعمر يقول له: مكانك كما أنت، ثم حمل القدر وأمر زوجته أن تأخذه لتطعم المرأة. فلما أكلت ناول الرجل القدر وقال له: كل ويحك، فإنك سهرت الليل كلّه، ثم خرجت زوجته، وقال للرجل: إذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك. فلمّا أصبح أتاه؛ ففرض لأبنه في الذرية وأعطاه)[2].

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير ٤/ ١٨٢، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، الطبعة الأولى ١٤١٧-١٩٩٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والرياض النضرة ١/ ٣٩٤.

(٢) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص٥٩-٦٠، وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ١٣٢ بلفظ مقارب.

وروى المحبّ الطبري (أنّ عمر لما رجع من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليعرف أخبارهم، فمر بعجوز في خباها فقصدها فقالت: يا هذا، ما فعل عمر؟ قال: هو ذا قد أقبل من الشام. قالت: لا جزاه الله عني خيراً، قال: ويحك! ولم؟ قالت: لأنه والله ما نالني من عطائه منذ ولي إلى يومنا هذا دينار ولا درهم. فقال: ويحك ما يدري عمر حالك وأنت في هذا الموضع؟ فقالت: سبحان الله! ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها. قال: فأقبل عمر وهو يبكي ويقول: وا عمراه! وا خصوماه! كل واحد أفقه منك يا عمر، ثم قال لها: بكم تبيعيني ظلامتك منه فإني أرحمه من النار؟ قالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله، قال لها عمر: لست بهزاء، فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً، فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب وابن مسعود فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه؟! فقال لها عمر: لا عليك يرحمك الله؛ ثم طلب عمر قطعة جلد يكتب فيه فلم يجد، فقطع قطعة من فروة كان لبسها وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إلى يومنا هذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدعي عند وقوفي في المحشر بين يدي الله ﷻ، فعمر منه بريء. شهد على ذلك علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، ثم دفع الكتاب إلى علي وقال: إذا أنا تقدمتك -أي متُّ قبلك- فاجعلها في كفني)[1].

أمّا عن حرية الرأي، فكان خير مثل يحتذى في ذلك، فدعا الناس إلى إبداء آرائهم فيه وفي حكمه، ولمَ الخوف من حرّية الرأي إذا كان الحاكم عادلاً في حكمه، ويحقق المساواة بين النّاس، وهذه واقعة ترينا حرّية الرأي في عهد عمر كيف كانت، قال يوماً على المنبر: يا معاشر المسلمين، ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا هكذا (وميّل رأسه)؟ فقام إليه رجل فسلّ سيفه وقال أجل! كنا نقول بالسيف هكذا (وأشار إلى قطعه) فقال: إياي تعني بقولك؟ قال نعم إياك أعني بقولي! فنهره عمر ثلاثاً وهو

(١) الرياض النضرة ١/ ٣٩٠-٣٩١.

ينهر عمر! فقال عمر: رحمك الله! الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوّجت قومني[1].

ولقد كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كثير الجود وإنفاق المال في سبيل الله، وقد قال الأعمش:

(كنت يوماً عنده، فأُتي بإثنين وعشرين ألف درهم، فلم يقم من مجلسه حتى فرّقها، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدّق به، وكان كثيراً ما يتصدق بالسكر، فقيل له في ذلك فقال: إنّي أُحبّه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾)[2].

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يخاف من الموت ويُكثر من ذكره، وقد نقش على خاتمه: (كفى بالموت واعظا يا عمر)[3]، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: كل يوم يقال: مات فلان وفلان، ولابد من يوم يقال فيه: مات عمر[4].

عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

كان أمير المؤمنين عثمان يُضرب به المثل في جوده وكرمه وعطائه وسخائه وإنفاقه في سبيل الله. ننظر إلى المسلمين بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فنجدهم في حاجة ماسّة إلى الماء الصالح للشرب، وكان بالمدينة بئر تُسمى (بئر رومة) يملكها يهودي، وقد ندب النبي ﷺ إلى شرائها؛ فاشتراها عثمان من اليهودي وسبّلها للمسلمين.

ولمّا أراد النبي ﷺ الخروج إلى غزوة تبوك، ندب الصحابة إلى تجهيز الغزوة وقال: «من جهز

---

(١) الرياض النضرة ١/ ٣٨١.

(٢) الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، ص٦٤، دار الصحابة بطنطا، نقلاً عن صلاح الأمة في علو الهمة. جمع وترتيب: سيد بن حسين العفاني ٣/ ٧١٥-٧١٦، الطبعة الثامنة ١٤٣١-٢٠١٠، دار العفاني، القاهرة.

(٣) تهذيب الكمال للمزي ٢١/ ٣٢٣، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٠٠-١٩٨٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي ص١٦٧ بتحقيق الشيخ: عبد الفتاح أبو غدة -حاشية المحقق- الطبعة العاشرة، دار السلام، القاهرة.

جيش العسرة فله الجنة». فجهزه عثمان[1]. فجاء بألف دينار ذهباً صبّها في حجر النبيﷺ، والنبي الكريم يقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددها مراراً[2].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: (قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فاجتمع الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة، فقال أبو بكر الصديق: انصرفوا فإنكم لا تمسون حتى يفرج الله عز وجل عنكم، فما لبثنا إلا قليلاً أن جاء أجراء عثمان بن عفان رضي الله عنه من الشام، فجاءته مائة راحلة براً، أو قال: طعاماً، فاجتمع الناس إلى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان رضي الله عنه في ملأ من الناس، فقال: ما تشاؤون؟ قالوا: الزمان قد قحط، والسماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعاماً، فبعناه حتى نوسع على فقراء المسلمين. قال عثمان: حباً وكرامة، ادخلوا فاشتروا؛ فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان رضي الله عنه، فقال: يا معشر التجار، كم تربحوني على شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر، فقال عثمان رضي الله عنه: قد زادوني، فقالوا: العشرة أربعة عشر، فقال عثمان: قد زادوني، قالوا: للعشرة خمسة عشر؛ قال عثمان: قد زادوني. قال التجار: يا أبا عمرو؛ ما بقي في المدينة تجار غيرنا، فمن ذا الذي زادك؟ فقال: زادني الله تبارك وتعالى بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ فقالوا: اللهم لا. قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين. فقال ابن عباس رضي الله عنه: فرأيت من ليلتي رسول اللهﷺ -يعني في المنام- وهو على برذون أبلق، عليه حلة من نور، في رجليه نعلان من نور، وبيده قضيب من نور، وهو مستعجل، فقلت: يا رسول الله، لقد اشتد شوقي إليك وإلى كلامك، فأين تبادر إذن؟ قال: يا ابن عباس، إن عثمان بن عفان تصدق بصدقة، وإن الله عز وجل قد قبلها منه، وزوّجه بها عروساً في

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبيﷺ (باب: مناقب عثمان بن عفان) ص٦٢١.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح، رقم ٢٠٥٠٨، ١٥/٢٦٨، والحاكم في المستدرك ٣/ ١١٠ وغيره.

الجنة، وقد دعينا إلى عرسه[1].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل في بيته فيأكل الخل والزيت[2].

وكان يلبس الإزار الغليظ وينام على الحصير، ويقيل في المسجد؛ فيقوم وأثر الحصير قد بدا في جنبه وهو أمير المؤمنين.!

ومن فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ الفتوحات اتسعت في عهده، وعمّ الرخاء، حتى قال الحسن البصري: (أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم، فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل، الاعطيات جارية، والارزاق دارة، والعدو متقى، وذات البين حسن، والخير كثير، وما من مؤمن يخاف مؤمناً، ومن لقيه فهو أخوه...)[3].

ومن أفضل ما وقع في خلافته: جمع القرآن الكريم، فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهده بعد أن كثرت الفتوحات، وأخذ كل قطر بقراءة واحد من الصحابة ممن أقام بينهم، وكان بين القراء شيء من الاختلاف في وجوه القراءة وطريقة الأداء، اذ كان ذلك مرخصاً به في عهد النبيﷺ، لكنّ المسلمين الجدد لم يفهموا حقيقة هذه الرخصة، فحصل النزاع بينهم، وادعى كل فريق منهم أنه على الحق. وعلم أمير المؤمنين عثمان بهذا؛ فاستشار الصحابة في جمع القرآن على مصحف واحد فوافقوه، فشكّل لجنة للقيام بالجمع، وأتمت اللجنة القيام بهذه المهمة، فنسخت المصاحف وأرسلت إلى عدد من الأقاليم ومنها الكوفة والبصرة والشام...وأبقى أمير المؤمنين عنده مصحفاً في المدينة. وأرسل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأكثر الأغلب مع كل مصحف حافظاً. وهذا المصحف

(١) كتاب الشريعة للآجري ص٧١٣-٧١٤، رقم ١٤٨٦، الطبعة الرابعة ١٤٣٢-٢٠١١، مؤسسة الريان، بيروت.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٦٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٠٦.

هو الذي بين أيدي المسلمين في العالم الإسلامي كلّه من غير زيادة فيه ومن غير نقص. فرضي الله عن سيدنا عثمان الذي وأد الفتنة في مهدها؛ خشية أن يتفرّق المسلمون فيه[١].

وكان رضي الله عنه كثير الذكر للموت، وليوم القيامة، وقصاص الله من الخلق، وقد غضب يوماً على عبد له فعرك أذنه، وتذكّر عثمان القصاص يوم القيامة، فندم على ما كان منه، وجاء إلى عبده يقول له: (إنّي كنت قد عركت أذنك فاقتص مني)، ويستحيي العبد من كلام أمير المؤمنين، فيلحّ عليه أن يفعل قائلاً له: شدّ شدّ، يا حبذا قصاص الدنيا لا قصاص الآخرة[٢].

هذه الأعمال العظيمة لأمير المؤمنين عثمان لم ترق لعبد الله بن سبأ، فعمل على إثارة الفتنة ضدّه، فجاءت الغوغاء من مصر، واقتحموا داره، وقتلوه ونهبوا كل ما كان في داره، ثم نهبوا بيت المال.! وكم كان حزن الصحابة على قتله عظيماً.! رضي الله عن أمير المؤمنين عثمان.!

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وهو ابن عم النبي ﷺ. ولد قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، ونشأ وترعرع في بيت النبوة، وهو أول من أسلم من الصبيان، وأحد شجعان الصحابة، قَتَلَ صناديد الشرك، وطواغيت الكفر لمّا تنازلوا معه، وهو أحد البدريين الذين غفر الله لهم، وقد أعطاه النبي ﷺ راية المهاجرين في مواطن عدة، وعُرف بالصدق والصراحة، وصلة الرحم والسخاء، وكثرت فضائله حتى قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد بحق أحد من الصحابة في الأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي[٣].

ولقد ضرب رضي الله عنه أروع الأمثلة بالزهد أيضاً فاستهان بزخارف الحياة الدنيا بعد أن جاءت إليه منقادة بمباهجها ومغرياتها، حتى قال فيه عمر بن عبد العزيز:

---

(١) لزيادة الاطلاع ينظر: علوم القرآن للمؤلف، الطبعة الثانية ١٤٢٩-٢٠٠٨.

(٢) ينظر: التذكرة الحمدونية لأحمد بن الحسن بن محمد ٣/ ٢١٢، دار صادر، بيروت.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٧/ ٩١.

(أزهد النّاس في الدنيا علي بن أبي طالب)[1].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في لباسه وتصرفاته خير معلّم: فقد خرج على المسلمين يوماً وعليه رداء وإزار قد وثقه بخرقة.! فسئل: لماذا كان هذا لباسه؟ فقال: (إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو، وخيراً لي في صلاتي، وسنة للمؤمن)[2].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهو أمير المؤمنين- إذا احتاج شيئاً خرج بنفسه إلى السوق فاشتراه وحمله على عاتقه، وكان يلبس قميصاً ثمنه ثلاثة دراهم، وقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟أو أكون أسوة لهم في خشونة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، والمرسلة شغلها تقممها)[3].

ويقف الإنسان متعجباً من عظمته في زهده يوم خرج إلى السوق وفي يده سيفه وهو يقول: (من يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزاراً ما بعته) (٤).

أمّا عدله وانصياعه لحكم القاضي، فقد سار بذكره الركبان -كما يقال-. وإن ينس الناس شيئاً فلن ينسوا مخاصمته يهودياً في درع -وهو أمير المؤمنين- وأنّ قاضيه [شريحاً] قضى بالدرع لليهودي؛ لأنّ أمير المؤمنين علياً لم تكن معه بينة، وقَبِلَ أمير المؤمنين عليٌّ الحكم بصدر رحب؛ فكان هذا من أسباب انضواء اليهودي تحت لواء الإسلام.

وننظر إلى الأموال التي كانت ترد إلى بيت المال في خلافته، فنراها كثرة كاثرة فيقوم بتوزيعها على المسلمين في وجهها الشرعي: فقد أعطى في سنة واحدة ثلاث مرات. ولّما امتلأ بيت المال بالذهب والفضة قام بتوزيعها على الناس وهو يقول: (يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري، ها، وها،

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٦.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٤.
(٣) التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن ١/ ٩٩، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، الطبعة الأولى ١٩٩٦، دار صادر، بيروت.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٤.

حتى ما بقي منه دينار ولا درهم)[1].

وقضى الله له مع كل ما قدّم للإسلام أن يكرمه بالشهادة: فقد خرج لأداء صلاة الصبح، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة، الصلاة، فطعنه عبد الرحمن بن ملجم، وفاضت روحه إلى الله، ولم يترك ديناراً واحداً إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، فأراد أن يشتري بها خادماً[2].

ولقد وصف ضرار بن ضمرة سيدنا علياً وصفاً هو القمة في الروعة، بيّن فيه ما كان عليه من منزلة علمية رفيعة، وقيام لليل وزهد في الدنيا...

فعن ابي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لضرار بن ضمرة: صف لي علياً، قال: أوتعفيني؟ قال: بل صفه! قال: أوتعفيني؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إذن فإنه –والله– كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان –والله– غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب[3]، كان –والله– كأحدنا: يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن –والله– مع تقريبه لنا، وقربه منا، لا نكلمه هيبة، ولا نبتدئه لعظمه. فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله! لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سجوفه[4]، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم[5]، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه، وهو يقول: يا دنيا، أبي

(1) حلية الأولياء ١/ ٨١.

(2) المصنّف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٧٣، رقم ٣٢٠٩٦، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(3) جشب: غلظ.

(4) سجوفه: ستره.

(5) اللديغ أو الجريح المشرف على الموت، سموه به تفاؤلاً بالسلامة.

تعرّضت؟ أم لي تشوفت! هيهات هيهات! غري غيري! قد بنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك! فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير! آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق!.

قال: فذرفت دموع معاوية ﷺ حتى خرّت على لحيته فما يملكها، وهو ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء. ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن! كان -والله- كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ[1] عبرتها، ولا يسكن حزنها[2].

رضي الله عن الخلفاء الراشدين، فقد كانوا قرّة عين الدنيا بحق، ساسوا الرعية بالعدل والمساواة، وكان همهم الآخرة، وما اتخذوا الدنيا إلا جسراً للآخرة.

* * *

(١) رقأ الدمع: جفّ وانقطع.

(٢) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن علي الحسني الندوي ص١٩-٢٠، نقلاً عن كتاب: صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ١٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

نماذج من جهاد الصحابة رضي الله عنهم

علم الصحابة بما أعدّ الله للمجاهدين من أجر عظيم بما ورد في القرآن الكريم، وبما قاله النبي الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه، فانطلقوا يجاهدون في سبيل الله لا يلوون على شيء، وقد أذهل جهادهم كلّ من درس سيرتهم. ولمّا كانت البطولات التي قدّمها الصحابة كثيرة كثيرة، فنكتفي هنا بذكر شيء يسير منها:

الزبير بن العوام رضي الله عنه

إنّ الزبير بن العوام أحد العشرة المبشّرين بالجنة، اشترك في كل غزوة غزاها النبي ﷺ، وقاتل صناديد الكفر في غزوات بدر وأحد وفتح مكة وغير ذلك، ففي غزوة بدر فعل الأفاعيل بالمشركين: فقد لقي عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، فحمل عليه الزبير بالعنزة(١)، فطعنه في عينه فمات(٢). وهذا يدل على دقّة الزبير في إصابة الهدف، فاستطاع أن يدخل العنزة في إحدى عينيه مع ضيق ذلك المكان. ولمّا انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربّه ظلّ يجاهد في سبيل الله. يقول ابن كثير متحدثاً عن شجاعة الزبير يوم اليرموك:

(..فاجتمع إليه [أي إلى الزبير] جماعة من الابطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون، فقالوا: بلى! فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا، وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية، ففعل كما فعل في الاولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفي رواية جرح)(٣).

(١) العنزة: كالحربة، وهي أطول من العصا وأقصر من الرمح، في أسفلها حديدة كحديدة الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير.

(٢) ينظر: صحيح البخاري في كتاب المغازي (باب: ١٢)، رقم ٣٩٩٨، ص ٦٧٥.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ١١.

طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهذا طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبلى بلاءاً عظيماً في غزوات النبي ﷺ، ودافع عن النبي دفاعاً أذهل كل من رآه في دفاعه عنه في غزوة أُحد، وقد وقى النبي الكريم بنفسه، واتقى النبل عنه بيده فشُلّت أُصبعه، وأصابه من الجراحات أربع وعشرون جراحة، وقد قال النبي ﷺ حينذاك: «أوجب طلحة»[1] أي: وجبت له الجنة.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (لما كان يوم أحد، وولى الناس، كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثني عشر رجلاً من الأنصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركهم المشركون، فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «من للقوم؟». فقال طلحة: أنا! قال رسول الله ﷺ: «كما أنت»، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله! فقال: «أنت»؛ فقاتل حتى قُتل! ثم التفت فإذا المشركون فقال: «من للقوم؟». فقال طلحة: أنا. قال: «كما أنت». فقال رجل من الأنصار أنا. فقال: «أنت». فقاتل حتى قُتل، ثم لم يزل يقول ذلك، ويخرج إليهم رجل من الأنصار فيقاتل قتال من قبله، حتى يُقتل، حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: «من للقوم؟». فقال طلحة أنا. فقاتل طلحة قتال الأحَدَ عشر حتى ضُربت يده، فقطعت أصابعه، فقال حسٍّ! فقال رسول الله ﷺ «لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين)[2].

مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أعطى النبي ﷺ الراية لمصعب بن عمير في غزوة أُحد، وكان النصر حليف المسلمين في الجولة الأولى من المعركة، وقد كان عليه الصلاة والسلام قد وضع خمسين من الرماة على الجبل وأمرهم أن لا يغادروه، ولمّا كانت الجولة الأولى في صالح المسلمين ظنّ الرماة أنّ المعركة قد انتهت لصالح

(١) رواه الترمذي في (باب: مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله) وهو حديث حسن، رقم ٣٧٣٨، ص٨٥٠.

(٢) سنن النسائي (باب: ما يقول من يطعنه العدو)، رقم ٣١٤٩، ص٤٨٦. ولفظ (حسّ) في معنى قولك أوّه.!

المسلمين، فنزل أربعون منهم لأخذ الغنيمة، والتفّ المشركون عليهم فقتلوا من بقي على الجبل، وانقضوا على المسلمين من الخلف، فانقلب النصر إلى هزيمة، وتعرّضت حياة النبيﷺ إلى الخطر، ومصعب ومن معه يدافعون عن النبي ﷺ حتى استشهد. ويصف ابن مسعود كيف استشهد مصعب فيقول:

(حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة، وهو فارس، فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل]، الآية، وأخذ اللواء بيده اليسرى، وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، الآية. ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء)[1].

هكذا استشهد مصعب وعمره أربعون سنة، وجعل الله ما جاء على لسانه ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ آية يتلوها المسلمون آناء الليل وأطراف النهار.

وقف رسول اللهﷺ عليه وهو يتلو قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

ولّما حان دفنه نظر المسلمون إليه وعليه كساء غليظ خشن يُسمّى (نمرة) إذا غطّوا بها رأسه، خرجت رجلاه، وإذا غطّوا رجليه خرج رأسه، ونظر إليه الرسول الرحيم وهو يقول: «غطوا بها رأسه، واجعلوا على رجليه الإذخر»[3]. وهو نبات طيّب الرائحة.

وتمضي الأيام، ويفتح المسلمون البلاد فتكثر الأموال، فيتحدّث خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمّا لاقاه المسلمون الأوائل فيقول:

(هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنّا من مضى، لم يأخذ من أجره

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٢٠، طبعة دار صادر، بيروت.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٥/ ١٧٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: من قُتل من المسلمين يوم أُحد) رقم ٤٠٨٢، ص١٠٢٤.

شيئاً، منهم مصعب بن عمير، قُتل يوم أحد، وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه شيئاً من إذخر)(١).

النعمان بن مُقَرِّن رضي الله عنه

وهذا النعمان بن مقرن المزني كان أميراً على جيش المسلمين في فتح (نهاوند) التي وقعت بين العرب والفرس وتسمى (فتح الفتوح)؛ إذ قضت على طغيان الفرس، ولم تقم لامبراطوريتهم بعدها قائمة. كان عدد الفرس مائة وخمسين ألف مقاتل، أما عدد المسلمين، فكان ثلاثين ألفاً. وقبل أن ينشب القتال سار النعمان في الناس، ووقف على كل راية يذكّرهم ويحرّضهم ويمنّيهم الظفر، وقال لهم: إني مكبّر ثلاثاً، فإذا كبرت الثالثة، فإني حامل -إن شاء الله- فاحملوا، وإن قُتلتُ فالأمير بعدي حذيفة، فإن قُتل ففلان، حتى عد سبعة آخرهم المغيرة. ثم قال: اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك. وقيل: بل قال: اللهم إني أسألك أن تقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضني شهيداً. فبكى الناس. ورجع إلى موقفه، فكبر ثلاثاً والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال، وحمل النعمان والناس معه، وانقضّت رايته انقضاض العقاب، والنعمان معلّم ببياض القباء والقلنسوة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها، وما كان يُسمع إلا وقع الحديد، وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً، وانهزم الأعاجم ... فلما أقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيداً)(٢).

ويُروى أنّ أحد الجنود جاء (النعمان) وما زال به رمق، فاستحضر ماءاً ليغسل به وجه القائد الجريح، ويسأله (النعمان): من أنت؟ فقال الجندي: معقل بن يسار. وعاد يسأله: ما فعل الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) رقم ٣٨٩٧، ص٩٧٩.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٤١٦-٤١٧ تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، الطبعة الرابعة ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

بالناس؟ فقال معقل: فتح الله على المسلمين. وابتسم النعمان مع آخر أنفاسه وآخر كلماته وقال: (الحمد لله كثيراً...اكتبوا بذلك إلى عمر).

أسيد بن حضير مع جماعة من الأنصار

وهذا أُسيد بن حضير وهو صحابي من الأنصار، اشترك في غزوة أُحد، ولمّا أصابت المسلمين تلك الخسارة في هذه الغزوة، علم النبيﷺ بما عزم عليه المشركون من الإغارة على المدينة؛ ليستأصلوا المسلمين، فندب النبي من اشترك في غزوة أُحد من الصحابة إلى ملاحقة المشركين.

وسمع أُسيد بن حضير دعوة النبيﷺ، وكان به سبع جراحات يريد أن يداويها فقال: (سمعاً وطاعة لله ولرسوله، وأخذ سلاحه ولم يعرّج على دواء، ولحق برسول اللهﷺ...وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً: بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً، وبخراش بن الصمّة عشر جراحات، حتى وافوا رسول اللهﷺ، فقال لمّا رآهم: [اللهم ارحم بني سلمة])[1].

سعد بن الربيع رضي الله عنه

سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار، قاتل يوم أُحد حتى استشهد، وقد وصف زيد بن ثابت آخر لحظات حياته فقال:

(بعثني رسول اللهﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي: «إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول اللهﷺ كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: *يا سعد، إن* رسول اللهﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: *أخبرني كيف تجدك؟* فقال: وعلى رسول اللهﷺ *السلام، قل له: يا رسول الله،* أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله، إن خلص إلى رسول اللهﷺ وفيكم عينٌ تطرف، وفاضت نفسه من وقته)[2].

---

(١) امتاع الأسماع للمقريزي ١/ ١٦٧، صححه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٢.

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/ ١٠٧.

أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أنس بن النضر صحابي من الأنصار، وهو عم أنس بن مالك، وقد روى لنا الرواية الآتية فقال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال يا رسول الله: غبتُ عن أوّل قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين؛ ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: [اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعنى أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء] -يعنى المشركين- ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال يا سعد بن معاذ: الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحُد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنّا نرى أو نظن أنّ هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾)(١).

وقد روي أنّ أنس بن النضر مرّ يوم أحد على جماعة فيهم عمر بن الخطاب فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قُتل رسول الله ﷺ قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم جالد بسيفه حتى قُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

عميربن الحمام الأنصاري

قبيل أن ينشب القتال يوم بدر، قال رسول الله ﷺ لصحابته: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض!». قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟! قال «نعم» قال: بخٍ بخٍ؛ فقال رسول الله *«ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ» قال:* لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه فجعل

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: قول الله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾، رقم ٢٨٠٥، ص٧٢٨-٧٢٩.

(٢) سيرة ابن هشام مع شرح أبي ذر الخشني ٣/ ١٢٠ بتحقيق: همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل»(١).

عمرو بن الجموح

كان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا فلما توجه إلى أحد، أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه: إنَّ الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد. فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله، إنّ بنيَّ هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك، فوالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: أما أنت، فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال لبنيه، وما عليكم أن تَدَعوه؛ لعلَّ الله ﷻ أن يرزقه الشهادة؛ فخرج مع رسول الله ﷺ؛ فقتل يوم أحد شهيداً)(٢).

أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله الإراشي الأنيفي

ما أكثرَ الصحابةَ الذين جاهدوا في الله حق الجهاد، وأبدوا من روائع البطولة ما عجز غيرهم عن الإتيان بمثلها، أو الإتيان بقريب منها.! ومن هؤلاء صحابي جليل من الأنصار، بايع النبي ﷺ، وأدهش الناس بشجاعته وإقدامه ونجدته وغيرته وجهاده في سبيل الله. إنّه أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله الإراشي، كان اسمه قبل أن يسلم عبد العزى، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن عدو الأوثان، وقد شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة اثنتي عشرة للهجرة. قال ابن سعد في طبقاته:

«لما كان يوم اليمامة، واصطف الناس للقتال، كان أول من جرح أبو عقيل الأنيفي، رمي بسهم، فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل؛ فأخرج السهم، ووهن له شقه الأيسر في أول النهار، وجر

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة (باب: ثبوت الجنة للشهيد) رقم ١٩٠١، صحيح مسلم ٣/ ١٥١٠-١٥١١.

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/ ٢٠٨-٢٠٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٩-١٩٧٩، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

إلى الرحل. فلما حمي القتال، وانهزم المسلمون، وجازوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدي يصيح ياللأنصار: الله الله والكرة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه؛ فقلت: ما تريد يا أبا عقيل، ما فيك قتال؟ قال: قد نوه المنادي باسمي، قال ابن عمر: فقلت إنما يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى، قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً. قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل، وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً ثم جعل ينادي: يا للأنصار كرة كيوم حنين، فاجتمعوا رحمهم الله جميعاً ... قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قُطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت على الأرض، وبه من الجراحة أربعة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل وُقتل عدو الله مسيلمة.

قال ابن عمر: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك- بلسان ملتاث-: لمن الدبرة؟ قلت: أبشر -ورفعت صوتي- قد قُتل عدو الله.! فرفع اصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات يرحمه الله. قال ابن عمر: فأخبرت عمر، بعد أن قدمت، خبره كله. فقال: رحمه الله، ما زال يسعى للشهادة ويطلبها، وإن كان -ما علمت- من خيار أصحاب نبينا[1].

خبيب بن عدي

هو خبيب بن عدي الأنصاري شهد غزوة بدر، وأسر في حادثة الرجيع وباعوه إلى بني الحارث بن عامر، وكان خبيب قد قتل والدهم يوم (بدر)، فلبث عندهم أسيراً، فلما أجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدُّ بها فأعارته، فسار طفل صغير لها وهي غافلة عنه حتى أتاه، فوجدته قد أجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال: أتخشين أن اقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل

(١) الطبقات الكبير لابن سعد ٣/ ٤٣٩-٤٤٠، طبعة الخانجي، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٤٦٦-٤٦٧.

قطفاً من عنب في يده، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً، فلما رجعوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: دعوني أُصلّ ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله، لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعٌ لزدت ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، وأقتلهم بدداً، ولا تبقِ منهم أحداً، ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أيّ جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزَّعِ

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سنَّ لكل مسلم قتل صبراً الصلاة، رضي الله عنك يا خبيب(١).

أم عمارة(٢)

لم يكن الرجال وحدهم هم الذين جاهدوا مع النبيﷺ حق الجهاد، فقد كان من النساء من جاهدت أكثر من جهاد قسم من الرجال، ومن هؤلاء أم عمارة نسيبة بنت كعب: فقد أبلت بلاءاً حسناً في غزوة أحد، ودافعت عن النبيﷺ وقاتلت دونه مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها: عبد الله وحبيب، وجرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح، أو ضربة بسيف وقد قالت : لمّا أنهزم المسلمون في غزوة أحد انحزت إلى رسول اللهﷺ، فجعلت أباشر القتال، وأذبّ عن رسول اللهﷺ بالسيف، وأرمي بالقوس حتى خلصت إليّ الجراح. وأقبل ابن قميئة، وقد ولّى الناس عن رسول اللهﷺ وهو يصيح: دلّوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه كنت فيهم، فضربني هذه الضربة على عاتقي، وقد ضربته على ذلك ضربات، ولكنّ عدو الله كان عليه درعان.

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب:١٠) باختصار وتصرف قليل، رقم ٣٩٨٩، صحيح البخاري ص٦٧٣-٦٧٤.

(٢) اسمها نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية الخزرجية النجارية المازنية. شهدت ليلة العقبة واشتركت في غزوات أُحد والحديبية وحُنين، وشهدت يوم اليمامة، وقُطعت يدها في الجهاد.

ولقد رأيتني وأنكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي النبي إلا في نفير ما يتمون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذبُّ عنه، والناس يمرون منهزمين، ورآني لا ترس معي، فرأى رجلاً مولّياً معه ترس، فقال: يا صاحب الترس، الق ترسك إلى من يقاتل! فألقى ترسه فأخذته، فجعلت أتترس به عن رسول الله ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل؛ ولو كانوا رجّالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله.! فأقبل رجل على فرس فضربني، وتترست له؛ فلم يصنع سيفه شيئاً وولى؛ فضربت عرقوب فرسه؛ فوقع على ظهره؛ فجعل النبي ﷺ يصيح يا ابن أم عمارة، أمك أمك! فعاونني عليه حتى قتلته.

وقد جرح ولدها في هذه الغزوة، وصار الدم لا ينقطع من جرحه، فطلب النبيﷺ منه أن يعصِّب جرحه، فأقبلت أمه ومعها عصائب قد أعدتها للجراح، فربطت جرحه، ثم قالت: إنهض بنيّ فضارب القوم! فجعل النبي ﷺ يقول: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة! وأقبل الرجل الذي ضرب ابنها، فقال رسول الله: هذا ضارب ابنك؛ فأقبلت إليه وضربت ساقه فبرك، وظلت تضربه حتى مات.

ونظر النبي ﷺ إلى جرح أم عمارة على عاتقها؛ فأمر ابنها أن يعصب جرح أمّه. وظلت أم عمارة تدافع عن النبي. وقد قال ﷺ: ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني. وقد طلبت من النبي مرافقته في الجنة فقالت: ادعُ الله أن نرافقك في الجنة فقال: اللهم أجعلهم رفقائي في الجنة؛ فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا.

ولما انتهت المعركة، ونادى منادي رسول الله ﷺ الى السير إلى (حمراء الأسد)، شدّتْ عليها ثيابها، لكنها لم تستطع السير من نزف دم الجراح، وظلت جدة ضمرة بن سعيد المازني -وكانت معها- تضمد جراحاتها حتى الصباح. فلما رجع النبي ﷺ من حمراء الأسد إلى بيته، أرسل عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها؛ فرجع إليه يخبره بسلامتها؛ فسرّ بذلك النبي ﷺ.

ولما انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى، وظهر أمر مسيلمة الكذاب، صارت تقاتله مع الجيش الذي

أرسله أبو بكر لقتال المرتدين. وهناك في اليمامة وهي تقاتل جيش مسيلمة قطعت يدها، وجرحت سوى يدها أحد عشر جرحاً، وقد قام مسيلمة بقتل ابنها حبيب وتقطيعه.

رضي الله عنك يا أم عمارة! وجمعنا الله بك وبصحابة النبي ﷺ في جنات الخلود.!

* * *

إنفاق الصحابة المال في سبيل الله

كان الصحابة الكرام يجلسون مع النبي ﷺ، ويسمعون الآيات التي ينزلها الله ﷻ عليهم، ومنها الآيات التي تدعو إلى إنفاق المال في سبيل الله، فيقدم على الإنفاق من كان ذا مال، ويتمنى المعسر أن لو كان عنده شيء لأنفقه في سبيل الله، وينظر الصحابة إلى رسول الله ﷺ وهو قدوتهم في سماحته وسخائه وإنفاقه المال في سبيل الله، فيسارعون إلى البذل والعطاء، وهذه أمثلة قليلة من سخاء الصحابة.

طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]

كان طلحة بن عبيد الله قد تزوج امرأة تُدعى (سعدى بنت عوف المرية). (دخلتُ على طلحة ذات يوم فقالت [تخاطب زوجها طلحة]: ما لي أراك حزيناً أرابك من أهلك فنعتب؟ [أي نترضاك]؟ قال: نعم، حليلة المرء أنت، ولكن عندي مال قد أهمني أو غمني. قالت: اقسمه؛ فدعا جاريته فقال: ادخلي عليّ قومي؛ فأخذ يقسمه، فسألها [راوي الحديث]: كم كان المال؟ فقالت: أربعمائة ألف)[(٢)].

وعن الحسن البصري: (أنّ طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بن عفان بسبعمائة ألف فحملها إليه. فلما جاء بها قال: إنّ رجلاً تبيت هذه عنده في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله لغرير بالله؛ فأرسل رسله في سكك المدينة يوزعها حتى أسحر وما عنده منها درهم)[(٣)].

---

(١) هو طلحة بن عبيد الله، صحابي جليل، وواحد من العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين في الدخول إلى الإسلام، وكان كريماً من أفضل الكرماء، ولكثرة جوده وكرمه وعطائه وبذله، سماه النبي ﷺ: (طلحة الفياض) و (طلحة الجود) و(طلحة الخير)، ولكل اسم من هذه الأسماء قصة تدل على بذله وسخائه.

(٢) الطبقات الكبير لابن سعد ٣/ ٢٠١، طبعة الخانجي.

(٣) الطبقات الكبير ٣/ ٢٠١-٢٠٢.

وقال الحافظ الذهبي:

(أتى طلحة مال من حضرموت سبع مائة ألف، فبات ليلته يتململ فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليلة فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين انت عن بعض أخلائك، فإذا اصبحت فادع بجفان وقصاع فقسّمه، فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفان فقَسَّمها بين المهاجرين والأنصار فبعث إلى علي منها بجفنة فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم)[1].

ويشهد قبيصة بن جابر بكثرة جود طلحة، وبأنّه كان يعطي من غير مسألة فيقول:

(ما رأيت أحداً أعطى لجزيل مال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله)[2].

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[3]

عن الزهري: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطرِ ماله، ثم تصدقَ بعد بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، وخمسمائة راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة[4].

وعن المسوّر بن مخرمة رضي الله عنه قال:

(باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمانُ بأربعين ألفَ دينار، فقسم ذلك المال في بني زهرة، وفقراءِ المسلمين، وأمهات المؤمنين، وبعث إلى عائشة معي بمال من ذلك المال؛ فقالت: عائشة أما

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٠-٣١.

(٢) الطبقات الكبير ٣/ ٣٠٢..

(٣) عبد الرحمن بن عوف واحد من العشرة المبشرين بالجنة وكان واحداً من الستة الذين انتخبهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من بعده لما طعنه المجوسي أبو لؤلؤة فيروز، أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم، فهو أحد الخمسة السابقين إلى الانضواء تحت لواء الإسلام، وكان له مال كثير، ومع ذلك كان زاهداً في الدنيا.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٤٧، والحلية لأبي نعيم ١/ ٩٩

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يحنو عليكم بعدي إلا الصالحون» سقا الله ابن عوف من سلسبيل الجنة)[١].

وأوصى رضي الله عنه لكل من شهد بدراً بأربعمائة دينار [أي من الذهب]، فكانوا مائة رجل[٢].

أبو الدحداح الأنصاري[٣]

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: «نعم، يا أبا الدحداح». قال أرني يدك يا رسول الله قال: فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي -وله حائط فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها- قال: فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداح. قالت: لبيك. فقال: اخرجي، فقد أقرضته ربي ﷻ[٤].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٩٨-٩٩.

(٢) التاريخ الكبير للإمام البخاري ١/ ١٦٧، رقم ٤٩٩، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

(٣) ذكر ابن الجوزي أنّ اسم أبي الدحداح ثابت بن الدحداح، وهو رجل من الأنصار، وقد شهد غزوة أُحد، ورأى هزيمة المسلمين في الجولة الثانية، وقد كانوا يقاتلون متفرّقين، فدعا أبو الدحداح الأنصار فقال: إليّ إليّ؛ إن كان محمد قد قُتل، فإنّ الله حيّ لا يموت؛ فقاتلوا عن دينكم؛ فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمن معه حتى قُتل وقُتل من كان معه.

ينظر: صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٣١٣، ضبطها وكتب هوامشها: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، الطبعة الرابعة ١٤٢٧-٢٠٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٣٠.

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها(١)

عن عروة بن الزبير قال: (لقد رأيت عائشة تقسم سبعين الفاً وإنها لترقع جيب درعها)(٢).

وعن هشام بن عروة عن أبيه: (أنّ معاوية بعث إلى عائشة رضي الله عنها بمائة ألف، فوالله ما غابت الشمس عن ذلك اليوم حتى فرقتها)(٣).

عن أم ذرّة – وكانت تغشى عائشة– قالت:

(بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين، قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية، هلمي فطري، فجاءتها بخبز وزيت؛ فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت: لا تعنفيني؛ لو كنت ذكرتني لفعلت)(٤).

وبلغ الإمام مالكاً عن عائشة زوج النبيﷺ (أنّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا الا رَغِيفٌ؛ فقالت لِمَوْلَاةٍ لها: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ. فقالت: ليس لَكِ ما تُفْطِرِينَ عليه. فقالت: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ. قالت: فَفَعَلْتُ. قالت: فلما أَمْسَيْنَا أَهْدَى لنا أَهْلُ بَيْتٍ أو إِنْسَانٌ ما كان يهدي لنا شَاةً وَكَفَنَهَا، فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ فقالت: كُلِي من هذا، هذا خَيْرٌ من قُرْصِكِ)(٥).

وقال ابن الزبير: (ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة، فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء فكانت لا

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصدّيق زوج النبيﷺ، وكانت أحبّ نسائه إليه، عُرفت بعلمها الواسع، وروايتها لأحاديث النبيﷺ، فقد روت عنه ٢٢١٠ من الأحاديث، وكانت لها معرفة بعلل الأحكام، وهي من أكثر العلماء في الفتوى، كما عُرفت بزهدها، وإنفاقها المال في سبيل الله.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٢٢.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٥٨، رقم ١٤٧٣، الطبعة الثالثة ١٤٢٧–٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) صفة الصفوة لأبن الجوزي ٢/ ٢١–٢٢.

(٥) الموطأ للإمام مالك –رواية يحيى بن يحيى الليثي– ٢/ ٥٩٦.

تدخر شيئاً لغدٍ)[1].

عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]

كان لابن عمر غلام اسمه نافع، وقد صار -فيما بعد- من أئمة التابعين، وقد أراد ابن جعفر أن يشتري منه نافعاً بعشرة الآف درهم أو بألف دينار ذهباً، فدخل عبد الله على زوجته صفية بنت عبيد وقال لها: أعطاني ابن جعفر بنافع عشرة آلاف درهم أو الف دينار؛ فقالت: يا أبا عبد الرحمن، فماذا تنتظر أن تبيع؟! قال: فهلا ما هو خير من ذلك؟ هو لوجه الله ﷻ[3].

وقال نافع: (إن كان ابن عمر ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألفاً، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم)[4].

وقال نافع: (ما مات ابن عمر حتى أعتق الف إنسان أو زاد)[5].

وقال نافع: (مرض ابن عمر فاشتهى عنباً أول ما جاء، فأرسلت امرأته بدرهم فاشترت به عنقوداً، فاتبع الرسول سائل، فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. ثمّ بعثت بدرهم آخر، قال فاتبعه السائل. فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه، وأرسلت صفية (زوجة ابن عمر) إلى السائل تقول: والله لئن عدت لا تصيب مني خيراً، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به)[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٩٢.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب صحابي جليل، قال فيه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (ما منّا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مال بها أو مالت به إلا عبد الله بن عمر)، ووصفه سعيد بن المسيب فقال: (لو شهدت لأحد أنّه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر).

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ١٧٥-١٧٦ وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢١٧.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٢٩٦.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١٨.

(٦) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٢٠.

قال ميمون بن مهران: أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس، فلم يقم حتى فرّقها[1].

وكان لعبد الله بن عمر غلام (رقيق) فكاتبه ابن عمر، -أي تعهد له بعتقه من الرق- إذا دفع إليه أربعين الف درهم. فخرج إلى الكوفة فكان يعمل على حُمُر له، حتى جمع من عمله خمسة عشر ألفاً، فجاءه إنسان فقال: أمجنون أنت؟ أنت ها هنا تعذب نفسك، وابن عمر يشتري الرقيق يميناً وشمالاً ثم يعتقهم، ارجع إليه فقل: عجزت. فجاء الغلام بصحيفته التي تعاقد فيها إلى ابن عمر وقال له: يا أبا عبد الرحمن، قد عجزت، وهذه صحيفتي فامحها. فقال: لا، امحها أنت إن شئت، فمحاها، ففاضت عينا عبد الله وقال: اذهب فأنت حر. قال أصلحك الله، أحسن إلى ابنيَّ. قال: هما حران. قال: أصلحك الله، أحسن إلى أمَّيْ ولديّ. قال: هما حُرتان[2].

بين أبي عبيدة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما[3]

أخذ عمر بن الخطاب أربعمائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلبث ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك؛ فقال: وصله الله ورحمه! ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفدها. فرجع الغلام إلى عمر رضي الله تعالى عنه وأخبره، فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها الى معاذ وتَلَةَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه

---

(1) صفة الصفوة ١/ ٥٧٠-٥٧١، بتحقيق: محمود فاخوري، الطبعة الأولى ١٣٨٩-١٩٦٩، مطبعة الأصيل، حلب، سورية.

(2) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١٧.

(3) أبو عبيدة عامر بن الجراح أحد من العشرة المبشرين بالجنة، سماه النبي ﷺ أمين الأمة، عُرف بشجاعته في غزوات النبي ﷺ وسراياه، كما عُرف بقيادته في فتح بلاد الشام، وإنفاقه المال في سبيل الله.

أما معاذ بن جبل، فهو صحابي جليل عُرف بعلو همته وبُعد نظره، وقد بايع النبي ﷺ بيعة العقبة ووفى ببيعته، وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة صاحبه معاذ، وحظي بمحبة النبي ﷺ له، وعُرف بعلمه وجهاده وعبادته وكرمه وإنفاقه المال في سبيل الله.

في بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله! تعالي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، واذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن –والله– مساكين فأعطنا –ولم يبق في الخرقة إلا ديناران– فدحا بهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره؛ فسرَّ بذلك وقال: إنهم اخوة بعضهم من بعض)[٤].

أم المؤمنين زينب بنت جحش[٥]

عن برزة بنت رافع رضي الله عنها قالت:

(لمّا خرج العطاء [أي الذي كان يعطيه عمر بن الخطاب] أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها. فلمّا أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. قالوا: هذا كله لكِ قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب وقالت: صبّوه واطرحوا عليه ثوباً. ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فأذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، حتى بقيت بقية تحت الثوب؛ فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين! والله لقد كان لنا في هذا حق. فقالت: فلكم ما تحت الثوب. فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا؛ فماتت فكانت أول أزواج النبيﷺ لحوقاً به)[٦].

*　　　*　　　*

---

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٣٧.

(٥) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش. أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتزوجها زيد بن حارثة، فلمّا طلقها تزوجها النبيﷺ بعد أن انتهت عدتها. وقد عُرِفت بعبادتها وورعها وحرصها على اتباع السنة، وحبّها الصدقة والإنفاق في سبيل الله. توفيت سنة ٢٠ من الهجرة.

(٦) طبقات ابن سعد ١٠/ ١٠٦.

أهل الصفة
ضيوف الإسلام

مقدمة

هناك كثير من المسلمين اليوم لا يعرفون عن أهل الصفة شيئاً، ومن كان منهم قد سمع بهم فلا يعلم أكثر من أنّهم كانوا من فقراء المهاجرين يعيشون في مسجد النبيﷺ، قد فرّغوا أنفسهم لعبادة الله ﷻ ليس إلا.! وإذا كانت السيرة النبوية قد أبدع فيها كثير من كتّابها قديماً وحديثاً، فكتبوا فيها الكتب الواسعة، مفصّلين كثيراً من دقائقها، ومحللين وقائعها، ومستخرجين فقه أحداثها، فإنّ جانب أهل الصفة لم يحظ في كتاباتهم إلا بذكر النزر القليل من أخبارهم المتناثرة في بطون الكتب هنا وهناك، ولعلّ كاتباً من المختصين بالسيرة النبوية يوفقه الله فيجمع ما تناثر من أخبارهم مع نقد الروايات نقداً علمياً، وتخريج الأحاديث فيها.

لقد كتب عدد من كتّاب السير أبحاثاً مفيدة عن أهل الصفّة، وخير بحث اطلعت عليه إلى الآن في شأنهم هو بحث أخي الفاضل الأستاذ الغيور الدكتور أكرم ضياء العمري –وفقه الله– في كتابه القيّم الماتع (السنة النبوية الصحيحة)، وقد أفدت في هذا المقال من كتابه هذا.

ونحن حين نتحدّث عن هذه الصفوة من أهل الصفة لا نبغي التسلية وقضاء الوقت، بل نريد أن نكشف عن جانب من جوانب السيرة النبوية التي تنصُّ على ما لاقاه صحابة النبي ﷺ؛ لتكون زاداً للدعاة إلى الله كلما كلّت العزائم وضعفت الهمم، ولتكون –أيضاً– قدوة وأسوة للمسلمين عند اشتداد الأزمات وتفاقم الكروب.

في الطريق إلى المدينة

لما انسدت الطرق بوجه دعوة الإسلام في مكة، وكاد الأمل يفقد في إيمان أهلها، ووجد النبيﷺ من يقف معه من أهل المدينة المنورة؛ ليبلّغ رسالة الله إلى الناس، دعا النبي صلوات الله وسلامه عليه صحابته إلى الهجرة إليها، فسارع من استطاع الهجرة إليها زرافات ووحدانا، تاركين وطنهم

وأموالهم وبيوتهم وما كان عندهم من متاع، وما ان بدأت طلائع المهاجرين تصل إلى المدينة حتى تلقّاهم الأنصار وأنزلوهم في بيوتهم، وقد أحبّ الأنصار المهاجرين حتى صاروا يتسابقون في ايوائهم فيقترعون على من يقبل إليهم من المهاجرين. ولقد أُعجب المهاجرون كل الإعجاب بما بذلوه من مواساة حتى قالوا للنبيﷺ: (يا رسول الله، ما رأينا مثل قومٍ قَدِمنا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل، ولا أحسنَ بذلاً في كثير، لقد كفونا المُؤنة، وأشركونا فى المَهْنَأ، حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم»)(١).

ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى كثر المهاجرون في المدينة، وقد كانت بيوت الأنصار قد امتلأت بمن وصلها من المهاجرين، فلم يكن للبقية الباقية مسكن يأوون إليه. لقد فرّ هؤلاء بدينهم ليلتحقوا بإخوانهم استجابة لرسول اللهﷺ. وإذا علمنا أنّ هؤلاء المهاجرين لم تكن لهم أموال فقد تركوها في مكة فراراً بدينهم، ولم تكن لهم خبرة بالزراعة التي عُرفت بها المدينة، فقد كان أكثر أهلها من المزارعين، على العكس من مكة التي عُرفت بالتجارة، وكانت أعداد من أفراد القبائل العربية تفد إلى المدينة المنورة من هنا وهناك: منهم من يريد إشهار إسلامه بين يدي النبيﷺ، ومنهم من يريد التعرّف على هذا الدين الجديد، وهنا برزت مشكلة تحتاج إلى حل.

بناء دار لأهل الصفّة

في هذه الأحوال أنزل الله تعالى آية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة في مكة فقال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ ﴾ سورة البقرة/ ١٤٤. فصار الاتجاه في الصلاة في المدينة الى الجنوب -أي الى الكعبة المشرفة- بعد أن كانت الى بيت المقدس في الشمال، فاتخذ النبيﷺ شمالي المسجد من مؤخرته داراً لأهل الصفّة، من فقراء المهاجرين ممن ليس له أهل

(١) مسند الإمام أحمد، رقم ١٣٠٧٥، ٢٠/ ٣٦١ بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٩-٢٠٠٨، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ولا مال ولا بيت يأوي إليه، فسُقّف أو ظُلل وبُني له جدار وسكنه فقراء المهاجرين. وكان عريفَ الصفّة أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو حلقة الوصل بين النبي ﷺ وأهل الصفّة يبلغهم ما يريد النبي تبليغه لهم، وظلّ أبو هريرة مستوطناً الصفّة طول عمر النبي ﷺ، ولم يكن المهاجرون -وحدهم- ممن سكن الصفّة، فهناك من الأنصار من سكنها ممن رغبوا بالزهد، ولو كانوا من الأغنياء وكأنهم أرادوا مشاركة المهاجرين في شظف العيش ومواساتهم.

أبو نعيم يصف أهل الصفة

وقد تحدث أبو نعيم الأصفهاني في وصف أهل الصفّة فقال:

(هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض. وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء، كما جعل من تقدم ذكرهم أسوة للعارفين من الحكماء. لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال...)[1].

عدد أهل الصفة

وأما عددهم، فكان مجموع من دخلها وخرج منها أو لم يخرج ما بين الستمائة الى السبعمائة كما يقول أبو عبد الرحمن السلمي[2]، لكنّ المقيمين بها بصورة عامة كانوا ما بين الأربعين إلى السبعين رجلاً، بحسب من يسافر منهم أو يتزوج أو يموت. قال ابن تيمية رحمه الله:

(وأما جملة من أوى إلى الصفة مع تفرقهم فقد قيل: كانوا نحواً من أربعمائة من الصحابة وقد قيل: كانوا أكثر من ذلك)[3].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نُعيم الأصفهاني ١/ ٤١٤ بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة ١٤٢٧-٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/ ٣٩ بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/ ٢١.

وقال في موضع آخر:

(وأما عددهم فقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخهم: وهم نحو من ستمائة أو سبعمائة أو نحو ذلك)[١].

العرنيون نزلوا الصفة ثمّ ارتدوا

ولا يظننّ أحد أنّ كل من سكن الصفّة مدة من الزمن كان من المؤمنين الصادقين، فقد نزلها ناس آمنوا بالله ثمّ ارتدوا عن الإسلام كالعرنيين الذين وفدوا على النبي ﷺ ونزلوا في الصفّة، وفي طريق عودتهم إلى موطنهم رأوا راعي النبي ﷺ ومعه أنعام، فقتلوه واستاقوا النعم، فعلم النبي بذلك فأرسل في طلبهم، فلمّا جيء بهم عاقبهم بما يستحقون[٢].

عملهم

إنّ هؤلاء الذين سكنوا الصفّة من المؤمنين الصادقين لم يكونوا متبطلين متواكلين، ينتظرون من يتصدّق عليهم من هنا وهناك، بل كانوا يعملون ما يستطيعون عمله في الصُفّة وفي غيرها، فإذا عادوا إلى الصُفّة يقومون بتلاوة القرآن، والصلاة في الليل، والدعاء والذكر وغير ذلك من العبادات؛ فازدادوا بهذا إيماناً على إيمانهم. ولم يكتفوا بهذا النوع من أنواع الطاعة والعبادة؛ فاتجهوا إلى طاعة أُخرى، فكانوا يتدارسون العلم فيما بينهم، ويعلّم بعضهم بعضاً القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ومن أهل الصفّة من كان له أثره الكبير في حفظ أحاديث النبي ﷺ: كأبي هريرة رضي الله عنه الذي صار -فيما بعد- راوية الإسلام، ومنهم من حفظ أحاديث النبي ﷺ في الفتن كحذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقد نزلها مدة من الزمن، وقد نزلها سعد بن أبي وقّاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، ثمّ انتقل عنها.

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٩.

(٢) ينظر نصّ الحديث في صحيح البخاري كتاب الوضوء (باب: أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها) رقم ٢٣٣، ص٤٣ وغير ذلك من الكتب والأبواب، كما رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم.

جهادهم في سبيل الله

ولا يظننّ أحد أنّ أهل الصفّة كانوا منقطعين عن الدنيا ومشكلاتها، بل كانوا يساهمون في كثير من مجالات الحياة، وكذلك في الجهاد في سبيل الله، فكان النبيﷺ يبعثهم في مهمات استطلاعية وسرايا وغيرها، وقد يعجب كثير من النّاس إذا علموا أنّ أهل الصفّة كانوا من أكثر النّاس قتالاً واستبسالاً وجهاداً في سبيل الله، وقد وصفهم الله ﷻ في قرآنه المجيد فقال:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ سورة الحشر. ويكفينا أن نعلم أنّ سبعين من أهل الصُفّة سقطوا شهداء في يوم واحد في حادثة بئر معونة[1]، حتى صار النبي ﷺ يقنت شهراً يدعو على هؤلاء الغادرين الذين قتلوا حفّاظ القرآن. وليس هؤلاء وحدهم الذين سقطوا شهداء من أهل الصُفّة، فقد وقع منهم شهداء أيضاً في غزوة بدر ومنهم: (صفوان بن بيضاء، وخريم بن فاتك الأسدي، وخبيب بن يساف، وسالم بن عمير، وحارثة بن النعمان الأنصاري، ومنهم من استشهد بأحد مثل حنظلة الغسيل، ومنهم من شهد الحديبية مثل جرهد بن خويلد وأبو سريحة الغفاري ومنهم من استشهد بخيبر مثل ثقف بن عمرو ومنهم من استشهد بتبوك مثل عبد الله ذي البجادين، ومنهم

---

(١) بئر معونة: موضع بين مكة وعسفان يبعد ١٦٠كم عن المدينة. وقصة أصحاب بئر معونة أو سرية القراء: أن أبا براء عامر بن مالك وفد على النبيﷺ، فدعاه النبي الى الإسلام فلم [illegible] فلم يسلم ولم يبعد، واقترح على النبي أن يرسل رجالاً الى أهل نجد [illegible] الى الإسلام [illegible] بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين [illegible] بئر معونة]، فارسلوا حرام بن ملحان بكتاب رسول اللهﷺ إلى عامر بن الطفيل [illegible] وصله الكتاب لم ينظر فيه، وأوعز إلى رجل فضربه بالرمح من خلفه فأنفذه فيه، فقال حرام: [فزت وربِّ الكعبة]. ثم استصرخ بني عامر على المسلمين فأبوا وقالوا: لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم جواراً، فاستصرخ عليهم [رعلاً وذكوان]، فأجابوه وكانوا كثرة كاثرة، فقاتلوهم حتى قُتل المسلمون عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق.

من استشهد باليمامة مثل سالم مولى أبي حذيفة وزيد بن الخطاب)[1].

ولقد نال أهل الصُفة مدح النبيﷺ لهم فقال:

«أول الناس وروداً عليه [أي على الحوض] فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم السُّدد»[2].

طعامهم

ننظر إلى طعام أهل الصُفّة فنجد أكثره التمر: فقد جعل النبيﷺ لكل رجلين من أهل الصُفّة مُدّاً واحداً في كل يوم [أي ما يقرب من ٦٧٥ غراماً]، وأصابهم من الضُرّ والأذى ما أصابهم من أكلهم التمر وحده مدة من الزمن ليست بالقصيرة. ولمّا شَكَوا إلى النبيﷺ ما يلاقون من أكل التمر وحده، اعتذر إليهم وواساهم وصبّرهم. ولندع فضالة بن عبيدرَضِيَ اللهُ عَنْهُ يروي هذه الرواية فيقول:

(كان رسول اللهﷺ إذا صلى بالناس، خرّ رجالٌ من قامتهم في الصلاة لما بهم من الخصاصة [أي: الجوع والفقر] وهم من أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب: إنّ هؤلاء مجانين، فإذا قضى رسول اللهﷺ الصلاة انصرف إليهم فقال لهم: «لو تعلمون مالكم عند الله، لأحببتم لو أنكم تزدادون حاجة وفاقة»)[3]، وذلك من باب التسلية والتصبير لهم.

وعن طلحة بن عمرو قال: كان الرجل إذا قدم على النبيﷺ: إن كان له عريف بالمدينة [أي من يعرفه] نزل عليه، فإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفّة، قال: فكنت فيمن نزل الصفة، فرافقت رجلاً، فكان يُجري علينا من رسول اللهﷺ كل يوم مدّ من تمر بين رجلين؛ فسلم ذات

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري [illegible] الطبعة [illegible] العبيكان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة (باب: ما جاء في صفة أواني الحوض) رقم ٢٤٤٤، ص ٥٥٧، وابن ماجه في كتاب الزهد (باب: ذكر الحوض)، رقم ٤٣٠٣، ص٦٢٨. والسُّدد: جمع سُدّة: أي: لا تُفتح لهم أبواب المسؤولين أو الأغنياء.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٣٩٣٨، مسند الإمام أحمد ٣٩/ ٣٦٤، والترمذي في كتاب الزهد (باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبيﷺ) رقم ٢٣٦٨، ص٥٣٩-٥٤٠.

يوم من الصلاة فناداه رجل منا، فقال: يا رسول الله، قد أحرق التمر بطوننا، وتخرقت عنا الخنف -والخنف برود شبه اليمانية-، قال: فمال النبيﷺ إلى منبره فصعده، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ما لقي من قومه فقال: «لقد مكثت أنا وصاحبي بضعة عشر ليلة ما لنا طعام إلا البرير -والبرير ثمر الأراك- قال: فقدمنا على إخواننا من الأنصار، وعُظْمُ -أي معظم- طعامهم التمر؛ فواسونا فيه، فو الله لو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكم، ولكن لعلكم تدركون زماناً -أو مَنْ أدركه منكم- تلبسون مثل أستار الكعبة، ويُغدى ويراح عليكم بالجفان»(٤).

ولم يغفل النبيﷺ عنهم، فقد كان إذا أرسلت له صدقة يبعثها الى أهل الصفة ولا يأكل منها شيئاً، كما كان إذا أمسى دعا الصحابة أن يأخذ كل رجل بقدر ما يستطيع من أهل الصفة ليعشيهم: فيذهب الواحد منهم بالرجل والرجلين والثلاثة وبأكثر من ذلك، وكان سعد بن عبادة يأخذ ثمانين رجلاً منهم يعشيهم. ومع ما كان فيه النبيﷺ من ضيق ذات اليد، فكان إذا أهديت له هدية من طعام دعا أهل الصفة الى بيته فيأكلون معه، وقد أكلوا عنده مرة من المرات الثريد.!

ونقف هنا وقفة قصيرة لننظر كيف كان اهتمام النبيﷺ بأهل الصفة؟ (جاءه مرة سبي، فسألته ابنته فاطمة رضي الله عنها خادماً؛ لأنها تعبت من كثرة أعمالها وكلّت، فأجابها عليه الصلاة والسلام: «لا اخدمكما وادَعُ أهل الصفة تطوي»(٥)، وأوضح لها أنه سيبيع السبي وينفقهُ على أهل الصفة. ويبدو انها سألته أن يعطيها مالاً، وكان النبيﷺ قد زار علياً رضي الله عنه، فوجد أنّ فراشهما قصير لا يغطيهما؛ فعلمهما كلمات في الدعاء، وآثر إعطاء أهل الصفة عليهما وقال: «لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تلوى بطونهم من الجوع»)(٦).

ويقف الإنسان معجباً أمام حقوق الأخوة التي رعاها أهل الصفّة حق رعايتها: فما كان واحد منهم عنده شيء من الشراهة، فيغالب إخوته على الطعام، بل كان أحدهم إذا أكل تمرتين معاً أخبر

(٤) حلية الأولياء لأبي نُعيم ١/ ٤٥٩.

(٥) رواه الإمام أحمد برقم ٥٩٦. ٢/ ٣٤.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٥٩٦، المسند ٢/ ٣٤.

إخوته وهم على الطعام بذلك فقال: [إنّي قرنت فاقرنوا]؛ لئلا يأكل من التمر أكثر مما يأكل إخوته.!

ولقد أصاب أهل الصفّة من الجوع ما الله عالم به، حتى قال عريفهم (أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

(لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة، فيقال: مجنون.! وما بي من جنون، وما بي إلا الجوع ... والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على الأرض بكبدي من الجوع، وأشدّ الحجر على بطني)[1].

وقد بلغ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به الجوع يوماً مبلغه؛ فخرج ووقف في الطريق؛ لعلّ أحداً من المسلمين يدعوه إلى طعام ليأكل، فمرّ أبو بكر فسأله عن آية فأجابه ولم يفطن لما به من جوع، ثمّ جاء عمر فسأله عن آية فأجابه ولم يفطن لما يريد أيضاً، ثمّ مرّ به النبي ﷺ، فتبسّم حين رآه، ودعاه إلى بيته، ولم يكن عنده سوى قدح من لبن أُهدي إليه؛ فأعطاه لأبي هريرة؛ فشرب حتى ارتوى[2].

ملابسهم

وحدّث ما شئت أن تحدّث عن ملابس أهل الصفة إن ملابسهم لا يصح أن تُسمّى ملابس؛ لأنّها لا تسترهم ستراً كاملاً أولاً، ولا تقيهم البرد ثانياً: فمنهم من لا يبلغ كساؤه تغطية نصف الساقين، وأحياناً لا يبلغ الركبتين؛ لذلك كانوا يخجلون من الظهور أمام الناس بتلك الملابس التي لا تستر ستراً كاملاً.

لقد كان هذا –وغيره كثير– في ابتداء الهجرة، وقد تحسّنت أحوال المسلمين الاقتصادية بعد ذلك، فكان يصل إلى أهل الصفّة ما يكفيهم.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٣/ ٤٣-٤٤، بتحقيق: *عبد الله بن عبد المحسن* التركي، وزيادة في إيضاح ما لاقاه أبو هريرة يُراجع صحيح البخاري أحاديث ٥٣٧٥، و٦٢٤٦، و٦٤٥٢.

(٢) ينظر الحديث بطوله في صحيح البخاري في كتاب الرقاق (باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه) رقم ٦٤٥٢، ص ١١٢٠.

خاتمة

رضي الله عن أهل الصُفّة.! فقد جمعوا بين
الجهاد في سبيل الله، والتحمل من شظف العيش وقسوته من أجل نشر هذا الدين.
إنّ واجباً حتماً على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بأولئك العظماء من صحابة النبيﷺ الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فنحبهم من صميم قلوبنا ولا نذكرهم إلا بخير.!

المحتوى

الموضوع .... الصفحة

مقدمة ٥

منزلة الصحابة في القرآن والسنة .... ١٢ - ٢٠

الصحابة في القرآن-الصحابة في السنة-من أقوال الصحابة في الصحابة.

في صحبة النبي الكريم ٢١-٣١

حب الصحابة للنبي ﷺ ٢١

أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ -بين الولد المؤمن ووالده المنافق-زيد بن الدثنة- استجابة الصحابة للنبي ﷺ -حول محبة المسلم للصحابة-حكم من سبّ الصحابة.

من روائع القصص في تضحيات الصحابة.................. ٣٢

المسلمون المستضعفون في مكة................................ ٣٢-٣٦

صور من تعذيب بلال رضي الله عنه -صور من تعذيب خباب رضي الله عنه -صور من تعذيب آل ياسر رضي الله عنهم-صور من تعذيب أبي فكيهة-صحابة آخرون في العذاب.

مع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ٣٧-٤٩

أبو بكر الصديق رضي الله عنه -عمر بن الخطاب رضي الله عنه -عثمان بن عفان رضي الله عنه -علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

نماذج من جهاد الصحابة رضي الله عنهم ٥٠-٦٠

الزبير بن العوام-طلحة بن عبيد الله-مصعب بن عمير-النعمان بن مقرّن-أسيد بن حضير مع جماعة من الأنصار-سعد بن الربيع-أنس بن النضر-عمير بن الحمام الأنصاري-عمرو بن الجموح-أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله الاراشي الأنيفي-خبيب بن عدي-أم عمارة.